محاضرات في صناعة تسفير الكتاب الإسلامي المخطوط وصيانته

السعيد بنموسى

مسفر ومرمم الكتب
بالمكتبة الوطنية
للمملكة المغربية
الرباط

محاضرات في صناعة
تسفير الكتاب الإسلامي
المخطوط وصيانته

الـــعنوان : محاضرات في صناعة تسفير الكتاب الإسلامي المخطوط وصيانته
الـمؤلـف : السعيد بنمـوسـى
الـطـبـعـة الأولـى : 2008 - 1429
الإيداع القانوني : 1580 – 2008
ردمك : 7 ـ 6 ـ 9525 ـ 9981
الـمطـبـعـة : شركـة فـريتـس– الربـاط
— **الهاتف** : 037.70.91.11
— **الفاكس** : 037.70.90.99

جـــميع حـــقوق الـطـبـع محـفـوظـة للـمؤلـف

محاضرات في صناعة تسفير الكتاب الاسلامي المخطوط وصيانته

السعيد بنموسى
مسفر ومرمم الكتب
بالمكتبة الوطنية
للمملكة المغربية
الرباط

بسم الله الرحمن الرحيم

.... والنجم والشجر يسجدان "

(سورة الرحمان الآية 4)

لله صدق الله العظيم"

" بسم الله الرحمن الرحيم "

المقدمة

جاء في الحديث (سبع يجري للمرء أجرهن وهو في قبره بعد موته: من علم علما، أو أجرى نهرا، أو حفر بئرا، أو غرس نخلا، أو بنى مسجدا، أو ورث مصحفا، أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته).

ويحتمل أن يكون المراد بتوريث المصحف نسخه وتسفيره، أي كتابته وخياطة كراريسه وجمعها بين دفتين للحفاظ عليه، وتوريثه ليبقى الوحي الإلهي منتشرا بين الناس.

غايتي من جمع هذا الكتاب الذي يحتوي على مجموعة من المحاضرات الفنية في موضوع صناعة تسفير المخطوطات وصيانتها هو التعريف بفن تسفير المصاحف والكتب المخطوطة وترميمها وصيانتها، وبالدور الذي كان لهذا الفن على مر العصور، وأيضا التعريف بالجوانب التقنية والتزيينية للمخطوطات.

وقد سبق لي أن ألفت وحققت سبعة كتب حول هذا الموضوع وهي كما يلي:

1. تسفير وتذهيب الكتب وترميم المخطوطات 1994.
2. تاريخ فن تسفير المصاحف الشريفة والكتب المخطوطة بالمغرب 1996.

3. تحقيق كتاب التيسير في صناعة التسفير للشيخ بكر بن إبراهيم الاشبيلي 1999

4. تحقيق كتاب كيفية تسفير الكتب للقاضي عبد العزيز الرسموكي 2008.

5. فنون التسفير في المغرب والأندلس 2008.

6. تحقيق كتاب النجوم الشارقات في بعض الصنائع المحتاج إليها في بعض الأوقات للإمام محمد بن أبي الخير الحسني الأرميوني 2008.

7. تحقيق كتاب صناعة تسفير الكتب وحل الذهب للفقيه محمد السفياني 2008

وقد اعتمدت في إعداد المواضع وخاصة من الناحية التقنية والفنية من الكتب التي أشرت إليها والتي لها أهمية قصوى في تاريخ الفنون والصنائع.

وتجدر الإشارة إلى أن الشيخ الاشبيلي وهو معاصر لدولة الموحدين لم تكن معارفه قاصرة على صناعة تسفير الكتب وترميمها، بل كان أديب، وشاعر وله رواية عن سعد السعود بن عفير. وقد وردت ترجمته في كتاب جدوة الاقتباس لابن القاضي.

أما الفقيه محمد السفياني فإنني لم أعثر على ترجمة له في كتب التراجم التي اطلعت عليها، ولاشك أنه كان يحترف تسفير الكتب، وكان

فقيه وعلى جانب من الثقافة، إذ وصف لنا بدقة متناهية أسلوب التسفير وحل الذهب.

أما عبد العزيز الرسموكي فلم يحترف هذه الصناعة، فقد كان قاضيا كما جاء في ترجـــمته المختصرة في كتاب " سوس العالمة " للعلامة محمد المختار السوسي.

كذلك الإمام محمد بن أبي الخير الحسني الأرميوني الذي دون كتابه والذي نعتبره من الكتب الكيميائية لم يكن عالم كيمياني فقد اشتغل في الفقه والنحو وقد وردت ترجمته المختصرة في كتاب (الضوء اللامع) للسخاوي.

ولا أنهي هذا التقديم قبل أن أشيـــر إلى أن الكثير من أساليب الترميم والتسفير الغربي الحديث مأخوذة من هذه الكتب التراثية، وعن طريقها تعرف الغربيون على ترميم المخطوطات وتسفيرها العربي الإسلامي ونسبوها إليهم كما هو الشأن في عدة علوم نقلت عن المسلمين ونسبت إلى غيرهم.

السعيد بـــنمـــوسى

مســـفـــر ومـــرمـــم الكـــتـــب

بالمكـــتـــبة الـــوطنـــية

للمملكة المـــغـــربـــية

الـــربـــــاط

صناعة تسفير الكتب في الغرب الإسلامي
(العصر الوسيط)

– أيتها الأخوات، أيها الإخوة،

أشكر حضراتكم على تلبيتكم لهذه الدعوة الثقافية، كما أشكر المكتبة الوطنية (الخزانة العامة) التي تفضلت بدعوتي لإلقاء هذه المحاضرة التي كما تعلمون تتعلق بصناعة تسفير الكتب، وتذهيبها، ونقشها، وترميمها في المغرب والأندلس الإسلامية (العصر الوسيط).

– ما هو التسفير؟

قبل أن أبدأ هذه المحاضرة لابد أن أعرف أولا بمعنى كلمة التسفير، لأن الكثير من الناس وخاصة إخواننا في المشرق يتساءلون ما معنى التسفير؟ وماذا تعني كلمة التسفير؟ فإنني أقول جوابا عن هذا السؤال.

التسفير حرفة معروفة عندنا في المغرب والأندلس الإسلامية منذ زمن بعيد بهذا الاسم، وحتى كتابات المغاربة والأندلسيين قديمها وحديثها، استعملوا مصطلح التسفير. ففي عهد المنصور الموحدي ألف الشيخ بكر بن إبراهيم الاشبيلي رسالته تقع في 14 ورقة وسماها " التيسير في صناعة التسفير" وفي العصر السعدي ألف الفقيه محمد السفياني رسالته تقع في عشرين ورقة وسماها " صناعة تسفير الكتب وحل الذهب، وفي نفس العصر أي العصر السعدي ألف القاضي عبد العزيز الرسموكي رسالته

وسماها " كيفية تسفير الكتب ". وفي وقتنا الحاضر استعمل بعض المؤلفين المغاربة في مؤلفاتهم مصطلح التسفير.

أما في المشرق فهذه الحرفة معروفة هناك بالتجليد. إذن التسفير هو التجليد؛ و التسفير أو التجليد هو سفر جلدي يجعل على الكتاب للحفاظ عليه، وطبعا بعد خياطة كراريس الكتاب وتقصيصه، ونسج البرشمان، ثم العناية بمظهره الخارجي أي تذهيبه وزخرفته بأختام وطوابع خاصة.

كما هو معروف كان قديما الناسخ ينسخ الكتب والمسفر يسفرها، وفي بعض المكتبات بالأندلس كان هناك جيش من النساخين والمسفرين يعملون بها. وفي الواقع لو لم تكن العناية قديما بتسفير المخطوطات بعد نسخها لضاع وفقد معظمها. وكما يقول ابن خلدون في كتابه المقدمة عن الوراقة أي النساخة و التسفير " هي حافظة على الإنسان حاجته ومقيدة لها عن النسيان".

في الحقيقة لم تكن للمغرب معرفة بصناعة التسفير إلا بعد أن قامت دولة المرابطين وصار إقليم الأندلس خاضعا لسلطانهم، وقد تعلم المغاربة أساليبه باستعانة الصناع الذين نزلوا من الأندلس، لأن المسلمين هناك كانوا قد أصابوا في هذا الميدان تقدما كبيرا، وكما تعرفون أن الأندلسيين لم يكونوا صناع مهرة في صناعة تسفير الكتب فقط، بل كانوا مهرة في كثير من الصنائع والفنون، فكانوا معماريين كبار وأطباء وفيزيائيين وكيميائيين وفلكيين وجغرافيين وغير ذلك.

ولاشك أن التسفير في المغرب كان في أول الأمر أندلسيا أي بطريقة أندلسية، وبعد ذلك أخذ المغاربة يتقدمون ويتفننون في إبداعه، ثم ظهر مسفرون ومزخرفون على الطريقة المغربية بين مغاربة وأندلسيين استوطنوا بالمغرب.

وأول مسفر أندلسي استوطن بالمغرب هو عبد الرحمان بن الصقر البلنسي المري الأصل توفي سنة 523هـ 1129م، كانت له أيام يوسف بن تاشفين حانوت للتسفير بجوار جامع القرويين يشتغل بها.

تسفير مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه في المغرب

شهدت صناعة التسفير ازدهارا وتقدما في ظل خلفاء الموحدين الذين اهتموا بها اهتماما كبيرا، فعندما وصل للخليفة عبد المومن بن علي مصحف سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه كهدية من أهل قرطبة احتفل به " فاجتمع لذلك كل الصناع المهرة وكل طائفة من مسفرين وزواقين ورسامين وصواغين والنقاشين والحلائين والمهندسين وكذلك البنائين والنجارين وغيرهم .

فتمكنوا من تسفيره وزخرفته وتحليته بحيث أن مصحف عثمان هذا من أعجب ما أبرزته يد الإنسان من الصنائع التي يعجز اللسان عن وصفها مما حواه من فاخر التسفير و بديع الزخارف ونفيس النقوش والترصيع بالذهب والياقوت والأحجار الكريمة.

ومن عجيب ما صنع له زيادة على ذلك كرسي خاص وصندوق أوتوماتيكي كما أخبرنا ابن طفيل في رسالة طويلة التي كتبها في نفح الطيب، " فأعد لهذا الصندوق مفتاح يدخل فيه، فإذا دخل هذا الأخير وأديرت به انفتح الباب بانعطاف الدفتين إلى داخل الدفتين من تلقائه وخرج من ذاته، وفي خلال خروجه يتحرك عليه المحمل حركة منظمة مقترنة بحركة يأتيها مؤخر الكرسي زحفا إلى مقدمته. فإذا كمل الكرسي بالخروج وكمل المحمل بالتقدم عليه انغلق الباب برجوع الدفتين إلى موضعهما من تلقائهما دون أن يمسهما أحد. وترتب هذه الحركات الأربع على حركات المفتاح فقط دون أن تكلف شيئا آخر، فإذا أدير المفتاح إلى خلف الجهة التي أدير إليها في الأول انفتح الباب وأخذ الكرسي في الدخول والمحمل في التأخر عن مقدم الكرسي إلى مؤخره. وإذا عاد كل شيء إلى مكانه انسد الباب بالدفتين أيضا من تلقائه وكل ذلك يترتب على حركة المفتاح كالذي كان في حال خروجه ".

هذه حضرات السيدات والسادة الرسالة المختصرة التي كتبها ابن طفيل في نفح الطيب وهي طويلة جدا حاولت أن أختصرها.

وإننا لنتساءل لماذا اجتمع كل هذا العدد الكبير من الصناع المهرة لتسفير مصحف سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بما فيهم المهندسين وحتى البنائين والنجارين وغيرهم ؟

والجواب على ذلك هو أن المغاربة والأندلسيين كانوا يعتبرون هذا العمل نوع من أنواع العبادة والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، لأن كتاب الله القرآن مقدس بطبيعة الحال وخاصة المصحف العثماني الذي هو أحد المصاحف الأربعة أو الخمسة أو السبعة التي بعثها عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى مكة والبصرة والكوفة والشام واليمن والبحرين والمدينة المنورة لجمع المسلمين على مصحف واحد خوفا من التحريف وخوفا من ضياع شيء منه.

إذن تسفير المصحف هو عمل ديني، ولذلك سفره كل من أراد أن يرضي الله بعمله هذا. قال تعالى: " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ". ومن هنا فإن التفنن في تسفير المصحف العثماني وتحليته بالذهب والفضة والأحجار الكريمة ما هو إلا عمل مقدس. لذلك لا نستغرب عندما اجتمع كل هذا العدد الكبير من الصناع المهرة، وقاموا بذلك النشاط العظيم.

والغريب أن الخليفة عبد المومن بن علي كان في بدء عهده يعارض على الزخرفة والتحلية بالأحجار الكريمة. اقتداء بتعاليم المهدي ابن تومرت الدينية في الابتعاد عن الزخرفة. ولاشك أن اتصاله بالأندلسيين واستعانته بصناعها ومهندسيها جعله يتأثر بهم، وقد تجلى ذلك في مصحف عثمان رضي الله عنه كما سبق أن ذكرنا.

مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه
هذه النسخة محفوظة بمصر بالمكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية الملحقة بمسجد السيدة زينب كتبت على رق الغزال وتزن حوالي 80 كيلو غرام وصفحاتها مكتوبة بالخط الكوفي الغير المنقط

علماء ووزراء مسفرون.

لا نستغرب أن نجد الكثير من العلماء وبعض الوزراء المغاربة كانوا يسفرون المصاحف والكتب، والسر في ذلك هو أن المسفر داخل في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أو صدقة جارية كما يقول أحد العلماء المغاربة، ولذلك نجد أن الكتب الدينية كان يسفرها العلماء، واشتهر منهم الكثيرون ومن أشهر هؤلاء العلماء المسفرين وربما كان أولهم : أبو عبد الله محمد بن سليمان الروداني السوسي يقول عنه سيدي عبد الله كنون رحمه الله في كتابه النبوغ المغربي : " كانت له يد صناع في كثير من الحرف والصنائع، كالتسفير والطرز العجيب والصياغة وجبر قوارير الزجاج المكسر وعمل الاسطرلاب وغير ذلك. ويأتي في المرتبة الثانية بعد العالم السوسي العلامة الحاج التهامي بن علي البطاوري، حسب محمد دينية في كتابه مجالس الانبساط كان عالم وله معرفة بتسفير الكتب. أما الثالث فهو عبد الله بن إدريس بن عبد الله العمراوي، حسب الكنسوس كان وزيرا وكان يسفر بيده نسخ من الشفا.

أدوات التسفير والأغرية:

والآن بعد هذا العرض المتواضع لتاريخ التسفير في المغرب والأندلس الإسلامية، أود أن أقدم لكم أساليب التسفير الذي كان يستعمل في العصر الموحدي وقبل ذلك لابد أن أعرف بأدوات التسفير والأغرية.

*** أولا الأدوات الكبرى:**

الملزم : وهو خشبتان تشد إحداهما إلى الأخرى بواسطة حديدة قوية ويجعل بينهما الكتاب ويضغط عليه.

التخت : آلة الضغط.

القالب : المرمة للخياطة.

الرخامة : لترقيق الجلد فوقها.

*** ثانيا: الأدوات الصغرى :**

المقراض – المقدة – السكين- حجر المسن – الإسفى – المخط – الإبرة – الخفيف- مدلك -منشار – مطرقة – المقلع وأختام وحدائد للتذهيب والزخرفة.

الأغـريـــة :

النشا : غراء رقيق يستخرج من القمح.

الأبرجمة : غراء العظم.

الدرمك : غراء من الدقيق الأبيض المطبوخ بالماء.

الدقيق الأحمر : المطبوخ بالماء.

طريقة التسفير في المغرب والأندلس الإسلامية
(العصر الوسيط)

نرجع الآن إلى طريقة التسفير في المغرب والأندلس الإسلامية :

كان المسفر أول ما يبتدئ به هو صناعة الدفف الورقية بنفسه، وهذه الدفف الورقية ابتكرها الأندلسيون، حيث كان المسلمون قديما غالبا ما يستخدمون الدفف الخشبية، وكانت هذه الكتب ثقيلة الوزن بطبيعة الحال فابتكر الأندلسيون كما قلنا الدفف الورقية الخفيفة الوزن، حيث كان المسفر يدهن ورقة أولى بالنشا ويتركها، ويدهن ورقة ثانية ويتزل الوجه المذهون من الورقة الأولى على الوجه المدهون من الورقة ثانية، ويدلك عليها بكفيه، فإذا أراد المسفر أن يرقق الدفف فينقص ما يريد من عدة الأوراق، وإذا أراد أن يضخمها فيزيد ما يريد على قدر نظره. وقد وصف لنا هذه التقنية الشيخ بكر بن إبراهيم الاشهيلي صاحب كتاب التيسير في صناعة التسفير، كما وصفها لنا محمد السفياني بدقة متناهية في كتابه صناعة تسفير الكتب وحل الذهب.

وهذه الأوراق التي كان المسفر يصنع منها الدفف غالبا ما تكون مكتوبة وكثيرة الأخطاء، وبدلا من التخلص منها وفقا للعادة الإسلامية بحرقها، كان بعض المسفرين يلصقونها ويستعملونها دففا. ولاشك أن أغلبهم كانوا يستعملون أوراق غير مكتوبة لماذا ؟

لأن فقهاء الأندلس كانوا يحرمون التبطين بها، أي الدفف الورقية التي تكون في باطن الجلد والتي كتب فيها كلام الله أو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن فقهاء المغرب أباحوا ذلك فيما بعد، وكان الذي أفتى بذلك المفتي سيدي قاسم العقباني. وقد وضع سيدي أحمد بن عرضون أرجوزة في أربعة أبيات تقول :

إيـــاك والـــتبطين بالـــكتـــاب * كتاب رب جل عن ذي البـــاب**
أو بحديث المصطفى خير الورى * صلى عـــليه مـــهمـــا ذكـــرا**
أو الذي احتـــوى على اسم الله * واســـم حبيبه العـــظيم الجـــاه**
إلا إذا الجنـــس لجـــنسه صـــدر * فبعضهم أجازه لدى الضرورة**

ولكن الأمر الذي يثير العجب، هو أن الدفف الخشبية بقيت سائدة في العصر الموحدي وخصوصا في المصاحف، وإننا لنتساءل لماذا بقيت تستعمل في المصاحف فقط؟

والجواب على ذلك هو أن المصاحف كانت في العصر الموحدي تحلى بصفائح الذهب والفضة والأحجار الكريمة، ولا يمكن أن تسمر هذه الصفائح إلا في الدفف الخشبية بمسامر، ولذلك بقيت سائدة في هذا العصر. ولكن الفنان العربي عرف كيف يغير هذه الأخشاب الثقيلة الوزن بأخشاب صلبة وخفيفة، ألا وهو خشب الأرز.

كما سبق أن ذكرت كان المسفر أول ما يبتدئ به هو صناعة الدفف الورقية، ثم خياطة كراريس الكتاب (كراسة تحتوي على ثمانية أو اثني عشر ورقة مزدوجة) في قالب الخياطة، وبعد تغريـــته بالنشا يقصصه بالـــمقدة أو السكين بعد ضغطه في الملزم، وبعد التقصيص يصقل المخطوط بحجر البركان أو حجر الحك حتى يذهب أثر قطع السكين أو المقدة، ثم ينسج رؤوس الكراريس بالحرير الملون، وبعد ذلك يركب الدفف، ويفصل رقعة من الجلد ويجلد بها الكتاب بأكمله. أي بالدفة اليمنى، والدفة اليسرى، واللسان الذي يتميز به التسفير العربي الإسلامي.

و لم يقتصر التسفير على الغلاف الخارجي للكتاب، بل كان يجلد حتى باطنه، وخاصة باطن المصحف، وكانت تسمى هذه العملية بالشدق.

الظاهر من صنعة التسفير :

طريقة أخرى، كانت تستخدم في العصر الموحدي وهي أن المسفر كان يسفر المخطوط وهو لازال عند الناسخ ينسخه، وهذه الطريقة كانت تسمى بالظاهر من صنعة التسفير، وطبعا لا يسفر بهذه الطريقة إلا المسفر الماهر الذي يجيد الصنعة ويحفظها عن ظهر قلب. وطريقتها أن يأخذ المسفر مقياس الكتاب من طوله وعرضه وعلوه، ثم يفصل الدفف واللسان وقطعة من الجلد ويجلد الغلاف بمفرده، ثم ينتظر حتى يتم الكتاب بالنسخ

ويركب عليه التسفير بعد خياطة الكتاب وتقصيصه، ونسج برشمانه بطبيعة الحال.

الـــمكـــســـر:

استخدم أسلوب آخر في هذا العصر أي العصر الموحدي، وكان يسمى (المكسر) أي التسفير التركيبي، وذلك أن يجلد الكتاب دون (اللسان) الذي يتميز به التسفير العربي الإسلامي وحينئذ يركبه عليه. وهذه العملية كانت تستعمل في الكتب الكبيرة الحجم والضخمة، خاصة إذا كانت الجلدة صغيرة لا تكفي تجليد سائر الكتاب.

والعمل في ذلك أن يعمل الدفف الورقية، فإذا يبست ألصقها على الكتاب أي الجناحين بثلاث نقط من الغراء فإذا يبست هذه النقط وأمسكت الدفف على الكتاب يقصصه ويكسوه بالجلد ويغلقه، ثم يفصل اللسان كما سبق أن ذكرنا ويرسم بالبيكار (الضابط) قدر مقدم الكتاب لكي لا يأتي ضيق الصدر. و بعد ذلك يكسو اللسان ويركبه على الكسوة أي الغلاف الجلدي، وحينئذ يذهبها وتأتي الكسوة كأنها غير مركبة.

الأقـــــربـــة :

كان المسفر يصنع إلى جانب التسفير أوعية جلدية للمصاحف، فكان يفصل قطعة كاملة من الجلد يعمها كاملة طول المصحف وعرضه

من جهاته الأربع، ثم يفصل قطعتين أخرتين تكونان جانبين لعرض الوعاء ومنها تكون الأذنان المهللتان (الأبازيم) مفرد ابزيم لإدخالهم في العروة، ثم يبطن هذه القطع الجلدية بثلاثة أو أربعة طاقات من الكاغيد أو أكثر لأن كل ما كان التبطين مبضعا يكون أحسن. فإذا يبست يكسرها على قياس المصحف أو بزائد عليه ليكون المصحف مروح في دخوله وخروجه، وكذلك بحسب ما تأخذ منه الخياطة أو الخرز بالاشفى والخيط بطبيعة الحال.

أما إذا كان المصحف في عدة أجزاء، فكانت تصنع له أوعية من الخشب، ثم تجلد هذه الأوعية الخشبية بالجلد. وكانت تسمى هذه الأوعية بالأقربة مفرد قراب، كذلك كان المسفر يصنع في العصر الوسيط مجمع لأدوات النساخة، والفرشاة الجلدية ليطلى بها الغراء. وكانت تصنع هذه الفرشاة بسيور من الجلد.

البرشـــمان العربـــي :

استخدم الأندلسيون طريقة للتزيين، ألا وهي استعمال البرشمان (الحبك) على رؤوس كراريس الكتاب، حيث كانوا ينسجونه بالحرير الملون.

وليس هناك شك في أن البرشمان يكسب مظهر الكتاب جمال وروعة.

وكان في العصر الموحدي يعمل في رأس الكتاب وأسفله سيور من الجلد مفتولة، ويشد الخيط عليها ثم تخاط بالإبرة والخيط في أول كراسة وذلك لتثبيتها، ثم تخاط الكراسة الثانية والثالثة إلى آخرها، وكانت تسمى هذه العملية بالتشبيك. وبعد ذلك ينسج عليها بالحرير الملون. وقد وصف لنا الشيخ الاشبيلي في باب الحبك أي البرشمان طريقة استعمال التشبيك، والبرشمان العربي (الدالي). ولسوءَ الحظ فقد أغفل الناسخ فصل كامل في البرشمان العربي الدالي، رغم أن الشيخ يخبرنا أنه قد فرغ من ذكره وقد وصف لنا الفقيه محمد السفياني في باب كيفية نسج البرشمان طريقة استعمال التشبيك، إلا أننا نلاحظ أنه أصبح يعمل في عصره أي العصر السعدي بسير واحد وغير مفتول، وفي ذلك يقول الفقيه محمد السفياني: "وذلك بأن يكون عندك صمغ عربي محلول بالماء مثل العسل الخاثر فاجعل منه شيئا على رؤوس الكراريس في طرف التقصيص تحت السير الذي تنسج عليه البرشمان بحيث إنك تضع عليها السير، وهو بنفسه يكون من جلد مدبوغ قد طلي بالصمغ العربي قبل ذلك، فإذا يبس الصمغ الذي جعلته على رأس الكتاب، فريقه بريقك وريق السير وانزله على الموضع الذي فيه الصمغ العربي. فإنهما يلتصقان معا بالتغرية، وادخل الإبرة بالخيط وسط الكراس الأيمن بعد أن تثبت طرف الخيط في أصل الكتاب من ناحية القفا – أي الظهر – في الموضع الذي يخرج منه رأس الإبرة وسر كذلك بالخياطة في الكراريس إلى أن تنتهي إلى الكراس الأخير، واعقد الخيط في

الضربة الأخيرة عقدا محكما فإن الخياطة تلزم لزما صحيحا، وكمل ما بقي بالنسج بالحرير الملون حتى يكمل عمل البرشمان من الجهتين ".

البرشمان البيزنطي (الرومي) :

استخدم الموحدون أنواع أخرى في نسج البرشمنة (الأحباك) ألا وهي الأحباك البيزنطية، ويخبرنا الشيخ الاشبيلي بأنها تنقسم إلى ثمانية أقسام، ذكر لنا منها الأربعة الأولى، وأغفل الأربعة الأخيرة لم يذكرها. لأنها لابد من المشاهدة على حد تعبيره، وهذه الأحباك هي الدالي أي شكله مثلث، والشطرنجي شكله شبه مربعات، والمضلع جميع أضلاعه متساوية، والقلب أي شكله شبه القلب. ويخبرنا الشيخ الاشبيلي أن بعض المسفرين المهرة كانوا يكتبون في البرشمان بألوان الحرير ما يشتمل عليه السفر من كذا إن كان أولا، والثاني إن كان ثانيا.

في الحقيقة كان التسفير قديما متعب جدا، فكنا قد رأينا كيف كان المسفر يصنع الدفف الورقية بيده، بينما يصنع اليوم الكرطون الخفيف بالآلة في معامل خاصة.

كذلك تقصيص الكتاب كان متعب جدا، فكان المسفر يقصصه بالمقدة أو السكين، ثم تطورت هذه الطريقة وأصبح الكتاب يقصص بآلة التقصيص الخشبية، واليوم نقصصه بآلة التقصيص الميكانيكية أو الكهربائية. وحتى الفرشاة التي يطلى بها الغراء كان المسفر يصنعها بنفسه بالجلد، فبعد

تفصيل قطعة من الجلد وترقيقها يرسم خطوط فوقها بالمخط، ويقصص هذه الخطوط بالمقص في شكل سيور رقيقة، ثم يشدها بالخيط على نصابها أي قبضها.

كذلك البرشمان، فقد رأينا كيف كان المسفر ينسجه بنفسه، بينما اليوم نلصق على رؤوس الكراريس البرشمان الاصطناعي بالغراء.

وبختامي محاضرتي أود أن أقدم لحضراتكم هذه الحكاية: (أرملة تطلب سلخ جلد زوجها لتجليد دواوين شعره) فتحت هذا العنوان قرأت في إحدى الجرائد في الصفحة الأخيرة ما يأتي : " أرادت أرملة وفية تنفيذ وصية زوجها المتوفى بكامل حذافيرها إلا أن السلطات المحلية رفضت السماح لها بذلك، لأن الوصية غريبة للغاية، وتخالف الرغبات السوية.

وكانت الأرملة راشيل بارتون 33 عاما مصرة على سلخ جلد جثة زوجها الشاعر دونال راسل ودبغها واستعمالها في تجليد دواوين أشعاره تلبية لرغبته. ونصت وصية راسل الغريبة أن يتم سلخ جلد جسمه من الرأس إلى أخمص قدميه ودبغها كجلد التمساح لتحقيق حلمه الذي طالما راوده بأن يصبح جلده غطاء مزركشا لمجلداته الشعرية.

غير أن راشيل واجهت مشاكل وعقبات قانونية في تنفيذ وصية زوجها الذي توفي عن 63 عاما. إذ رفض المسؤولون عن الدفن طلبها الغريب بحجة أن قانون الولاية يمنع تشويه جثث الموتى أو فعل شيء للجثمان بما يخالف المعايير الاجتماعية السوية.

و لم تيأس راشيل طالبة القانون في جامعة أريغون وحاولت طرق كل الأبواب لتنفيذ وصية زوجها.

وكانت الأرملة مستعدة للسماح لبعض أصدقاء العائلة وخبراء جلود الحيوانات بالشروع في سلخ جلد زوجها الذي تحتفظ بجثته في ثلاجة، بل رفعت دعوى قضائية للحصول على حق تنفيذ الوصية، غير أنها وافقت في نهاية المطاف على حرق جثمانه بعد اتفاق تم التوصل إليه بين مشرحة الولاية وسلطات المقابر. ولا تزال راشيل وبعض أصدقاء زوجها الراحل يشعرون بالإحباط لعدم تمكنهم من عدم تنفيذ الوصية.

وقالت راشيل " إنه كان معجبا للغاية بجلده ويرغب حقا في استعماله كما أوصى ".

فن التذهيب والنقش في المخطوط المغربي

يسعدني كثيرا أن نلتقي اليوم لكي نتحدث عن موضوع يتعلق بفن الزخرفة في المخطوط المغربي، وعنوان موضوعنا هو فن التذهيب والنقش في المخطوط المغربي.

وقبل ذلك لابد أن أعرف بأدوات التذهيب والنقش التي كانت تستعمل في العصر الوسيط.

المخط : أداة مهللة الشكل يخط بها خطوط فوق الجلد.

المصقلة : أداة لصقل الجلد.

الركن : خاتم خاص بالأركان.

اللوزة : خاتم في شكل لوزة.

المجواب : حديدة يجاب بها، أي يقطع بها صفائح الذهب.

المشعر : خاتم في شكل شجرة ملتـــفة.

القبطال : المسطرة

العشر : خاتم حديدي عشاري الضلوع.

حديد الضرس : حدائد طويلة للتذهيب، زواقتها بارزة كأنها أضراس

الضفرة : زخرفة في شكل ضفائر.

الصفيحة : توضع تحت السفر ليوطأ الجلد ويذهب بسهولة.

المشطب : أداة يشطب بها بقايا الذهب

المبزغ : المشرط

استخدم الموحدون في عهد المنصور التذهيب في جلود الكتب، فقد كانوا يزينوها بأختام وطوابع حديدية، فيقطعون صفائح الذهب الحر على قدر الخاتم، ثم يضغطون عليه بعد تسخينه في المجمر. وقد استخدموا أيضا حدائد الضرس وهي حدائد طويلة تدور بغلاف الكتاب المتخذ من الجلد، وسميت بحدائد الضرس لأن زواقتها بارزة كأنها أضراس وأنواعها عديدة، وكل نوع له اسم مثل: الطويل والصلة والتكحيل والسلسلة وغيرها.

أما أشكال الطوابع التي يذهب بها وسط الغلاف هي: المربع، والمسدس، والمثمن، والدائرة والعشر. والأختام التي حولها هي اللوزة والوردة والنقطة والأركان. ومن المعروف أن كل شكل من هذه الأشكال التي ذكرناها كان له رمز، فمثلا المربع كان يرمز إلى القعود والسكون، والدائرة تحيل إلى الحركة والحياة، وحتى التركيب بين هذه الأشكال كان يوحي بدلالات كثيرة ومتعددة. فمثلا المثمن أي نجمة بثمانية أضلاع تتكون أصلا من مربعين متقايسين أحدهما يرمز إلى الجهات الأربع، والثاني يمثل العناصر الأربعة التي تشكل رفقها الكون، وهي النار والماء والهواء والتراب.

الأشـــداق :

كانت الزخارف في العصر الوسيط لم تقتصر على الغلاف الخارجي لجلدة الكتاب، ولكنها امتدت إلى باطنه وخصوصا باطن المصاحف الشريفة، فهي الوحيدة التي كانت تزخرف بواطنها بزخارف هندسية أو نباتية، وكانت تسمى هذه الزخارف الباطنية الرائعة بالأشداق مفرد شدق. وكيفية صنعها يأخذ جلد بقدر المصحف ويبطن بأوراق الكاغيد وورقة من الرق، ثم يزخرف بأختام أو طوابع حديدية مثل وجه الكتاب أي الغلاف الخارجي للكتاب.

وقد عمت في عصر عمر المرتضى آخر الخلفاء الموحدين طريقة أخرى سهلة في تزيين جلود الكتب وبأشكال زخرفية على كل الجلد، وبحركة واحدة بدلا من كثرة الحدائد، وذلك باستعمال صفيحة الذهب الحر، وطابع حديدي كبير محفور وساخن يضغط على الجلد لتبرز بعض أجزاءه وينخفض البعض الآخر.

ومن أمثلة ذلك، مصاحف بخط عمر المرتضى، زخرفت بزخارف هندسية متشابكة وتتألف هذه المصاحف المزخرفة بهذا الشكل من عشرة أجزاء، يحتوي كل جزء على ستة أحزاب، وهي الآن متفرقة، بعضها لازال محفوظ بالمكتبة الوطنية والخزانة الحسنية بالرباط، وخزانة ابن يوسف بمراكش.

فن النقش في المخطوط المغربـــي:

استخدم المغاربة في العصر السعدي أسلوب آخر في تزيين الكتاب ألا وهو فن تركيب الترنجة، والترنجة هي جلد شبه إطار صغير في شكل ليمونة يلصق في وسط الغلاف الجلدي، وهو مزوق ومخرم تخريما خاصا، وغالبا ما يكون بالجلد الأحمر أو الأخضر، وهذا النوع شرقي مقتبس من التسفير الفارسي القديم، يرجع عهده إلى القرن الميلادي السادس عشر. وطريقة استعماله، وذلك بأن ترسم الدفة بالقلم على نصفين، وتجعل الترنجة على وسط الدفة وتدور عليها بالقلم أيضا وتحفرها بالمشرط، وبعد التجليد تفصل ترنجة من الجلد الرقيق، وتنـــزلها بعد تغريتها بالغراء وسط الحفر من فوق الجلد، وتضرب على الترنجة بمطرقة صغيرة ضربا خفيفا حتى يعلو النقش.

واستعمل المغاربة أسلوب آخر لعله عثماني ألا وهو فن النقش أي القطع أو الحفر على الترنجة المربعة أو الأركان أو نوارة وتوريق و غيرها، وذلك برسم الزخارف النباتية على الكاغيد، ثم حفرها على الجلد، وقطعها بالمبزغ (المشرط) حتى تبدو هذه الفراغات جميلة الشكل.

وتحتاج هذه العملية إلى غاية الدقة والمهارة. وقد وصفها لنا الفقيه محمد السفياني في كتابه صناعة تسفير الكتب وحل الذهب السالف الذكر إذ يقول: "وذلك بأن تأخذ الجلد المقشر وتطليه بالغراء الشديد من وجهين، وتلصق عليه جلدين بلا مقشرين، مدهونين بالغراء من الناحية

السفلى، وتتركه حتى ييبس، وتلصق ورقة من الكاغيد مرشومة بالمداد وفيها من الصنعة ما تريد، وصفة رسمه، وذلك بأن تأخذ ورقة من الكاغيد الرقيق، وتريقها بريقك، واتركها حتى تشرب الريق وتجف قليلا، وتنـــزلها على أي رسم تريد رسمه، من ترنجة أو ركن أو نوارة وتوريق أو غير ذلك من المرسومين في الكتاب، واضبط عليه بإبهامك وأصبعك فإنه يقطع فيه الرسم، فارفعه واتركه حتى ييبس، واتبعه بالقلم والمداد حتى تظهر لك الصنعة، فإذا ألصقتها على الجلد المتقدم ذكره، ويبست، فاتبع الرسم فالحفر على الصفة المرسومة بمبزغ مثل مبزغ الفصادة. فإذا انحفر، فاضرب على الجلد المبلول، يرسم فيه ما رسمت في الصنعة، وإذا ظهر لك في الصنعة نقص، فكمله وقص أيضا في جلد آخر حتى يعجبك العمل".

أدوات النـقـش والـزخـرفـة

خمسة أنواع من التذهيب
والنقش في المخطوط المغربي
(الأندلسي والفارسي والمغربي والمصري والعثماني)

النوع الأول: النوع الأندلسي القديم يرجع تاريخه إلى القرن الميلادي الثالث عشر، وهو في غالب الأحيان مزخرف بالتوريق.

النوع الثاني : النوع الفارسي وهو أحدث مما قبله الراجع عهده إلى القرن الميلادي السادس عشر، وهو بالترنجة في وسط الغلاف وحولها مزخرف بالتذهيب في شكل ضفائر، وفي أركان السلسلة التي تدور على أطراف الغلاف أختام في شكل وردة.

النوع الثالث : وهو مغربي محظ، مزخرف بحدائد الضرس، وبطابع حديدي في الوسط في شكل زخارف متشابكة، يرجع تاريخه إلى العصر الوسيط.

النوع الرابع : وهو مصري قديم يرجع تاريخه إلى العصر الوسيط، وهو مختصر أي زخرفته لا تغطي جلدة الكتاب كلها، وهو مزخرف بالأركان في أطراف السفر، والعشر في الوسط، واللوزة حوله. وقد وصفه الشيخ الاشبيلي المتقدم ذكره في باب النقش.

النوع الخامس : لعله عثماني استعمله المغاربة في القرن الميلادي السادس عشر، وهو بالأركان والترنجة المربعة المنقوشة بطريقة الحفر على الجلد.

حضرات المستمعين الكرام

أرجو أن يكون قد اتضح لكم من خلال هذه الصور أنواع التذهيب والنقش والزخرفة في المخطوط المغربي.

هذا وإني دعوت في كل المحاضرات والملتقيات إلى ضرورة إحياء هذه (التسافير) الإسلامية، وذلك بإنشاء مدرسة خاصة لتعلمها وخاصة أن هذا الفن انقرض في المغرب في عهد الحماية بعدما استخدمت أي سياسة الحماية أساليب إفرنجية حديثة وطمست أسلوبنا العربي الإسلامي الأصيل.

ترميم المخطوط في المغرب والأندلس

(العـــصر الوسيط)

حـــضرات المستمعين الكرام :

يسعدني كثيرا أن نلتقي اليوم لأحدثكم عن صنعة من أهم الصنائع في الدين التي بها تصان المصاحف وكتب الأحاديث، والعلوم الشرعية، كما يقول ابن الحاج الفاسي المتوفى سنة 737 هـــ في كتابه المدخل.

يعتقد كثير من الناس أن ترميم المخطوطات من المستحدثات، وأن المسلمين تعلموا أساليبه من العالم الغربي.

و في الواقع أن المسلمين نبغوا في هذا الفن ورمموا مخطوطاتهم منذ أكثر من 800 سنة، فقد ظهرت كتب متخصصة في هذا الفن في المغرب والأندلس الإسلامية. ففي عهد يعقوب المنصور الموحدي الذي نعلم أن عصره كان هو العصر الذهبي للحضارة المغربية، ألف الشيخ بكر بن إبراهيم الاشبيلي كتاب في غاية الأهمية وسماه " التيسير في صناعة التسفير" وقسمه إلى عشرين بابا، وضمنه بابا عن ترميم المخطوطات، وهو باب الأسفار البوالي ورد الكسا. وفي الواقع عندما حققت هذا المخطوط ذهلت لماذا؟ لأن هذا الترميم الذي عند الدول المتقدمة اليوم، وجدته يتطابق مع ما ذكره الشيخ الاشبيلي. فمثلا من ناحية ترقيع الجلد أو ما نقص من الغلاف الجلدي، هي التي تستعمل اليوم عند الدول المتقدمة. وكذلك تفكيك الكراريس من الخياطة قبل الترميم.

أما ترميم الأوراق المخرومة فكانت في العصر الموحدي ترمم بكاغيد خاص ألا وهو الكاغيد الطلحي، وفي وقتنا الحاضر نرمم الخرم بالورق الياباني.

وقد وصف لنا الشيخ الاشبيلي غراء خاص لترميم أوراق المخطوط وضمنه بابا وهو باب الأغرية، وأكثر من ذلك وصف لنا غراء ضد الأرضة، وهو غراء يخلط معه نباتات طاردة للأرضة مثل الافسنتين، وهو نبات أوراقه مرة الطعم، وأزهاره طاردة للأرضة، وكذلك العلقم وهو الحنطل مرارته شديدة، والصبر وهو نبات كذلك طارد للأرضة، وهو دائم الخضرة وصبور على العطش، لذلك سمي بالصبر، وهناك من يسميه بالصبار. إذن العرب والمسلمين نبغوا في هذا الفن في القرون الوسطى قبل غيرهم، وفي الوقت الذي كانت أوروبا تمر بعصور مظلمة.

إذن فلا عجب أن نرى العالم الغربي يتخذ من المسلمين وخاصة الأندلسيين والمغاربة إماما له في ترميم المخطوط وتسفـــيره. سواء من الناحية التقنية أو الفنية. ولازلت أذكر أنه في بداية السبعينات،كان يتردد على المكتبة الوطنية كثير من الباحثين الغربيين للبحث عن مخطوطات تهتم بهذه الصناعة.

في أواخر الستينات تم تجربة العديد من طرائق وأساليب حديثة في ترميم المخطوط في الغرب. تبين مع مرور الزمن أنها غير ناجحة، ومن ذلك ترميم أو تغليف أوراق المخطوط بالورق الشفاف البلاستيكي،

فكان يعتقد أن هذا الأسلوب هو الأحسن والأفضل لترميم أوراق المخطوط، وانتقلت مع الأسف هذه الطريقة إلى المغرب في بداية السبعينات على الرغم من وجود كتب مخطوطة ألفها المسفرون والمرممون الأندلسيون والمغاربة القدماء حول هذا الموضوع.

في سنة 1970 عندما التحقت بالمكتبة الوطنية (الخزانة العامة) بالرباط وجدت أن المحافظ السابق عبد الله الركراكي رحمه الله هو أول محافظ بعد الاستقلال كان قد اقترح أن ترمم أوراق المخطوط بهذه الطريقة بحسن نية طبعا، فكنا نأخذ ورقة بلاستيكية، وندهنها بغراء العظم الأصفر نحله في ماء بارد، ونترل ورقة المخطوط على البلاستيك، ثم نملئ الخرم بورق عادي أبيض الذي نفصله قبل في شكل سيور، ثم ندهن ورقة ثانية بلاستيكية ونترل الورقة الأولى على الورقة الثانية البلاستيكية المدهونة بالغراء، وندلكها بكفينا، ونقلبها للوجه الأسفل إلى الأعلى، وندلكها حتى لا يبقى في الوجهين انكماش، فحينئذ نضعها بين منشفتين، ونثقلها بالرخامة حتى تجف، ثم نضغط عليها بآلة الضغط، وبعد ذلك نقص كل ورقة على حدى من أطرافها، ونجمعها بالخياطة. ونسفر المخطوط بغلافه الجلدي الأصلي إذا كان غير متلاشي، أو نعوضه بغلاف جديد.

في أواخر الثمانينات، توقف هذا الترميم بالبلاستيك الخاطئ، وخصوصا بعد أن أنجز الخبراء الاسبانيين والألمانيين، تقريرا عن الحالة الصحية لمخطوطات المكتبة الوطنية، وخزانة القرويين بفاس وكما تعلمون

فقد أنشئ سنة 1991 مختبر الترميم داخل المكتبة الوطنية بتمويل وخبرة من الحكومة الاسبانية والحكومة الألمانية.

وبطبيعة الحال لا ننكر أن العالم الغربي نظرا لنتيجة التقدم التكنولوجي الذي حدث في وقتنا الحاضر، أضاف بعض آلات الترميم الميكانيكية، وكذلك غسل أوراق المخطوط بطريقة علمية. والترميم حاليا يكتسي عدة طرق، فهناك الطريقة الايطالية، والطريقة الفرنسية، والاسبانية، والأمريكية، والألمانية، والروسية وغيرها.

وكل هذه الدول تتنافس وتحاول أن تتميز عن بعضها، بتقنياتها وابتكاراتها في هذا المجال. فمثلا الطريقة الروسية كما أخبرني أحد المرممين الإسبان تختلف عن غيرها، وتعتبر من أصعب الطرق المتبعة حاليا، حيث تشق ورقة المخطوط إلى قسمين لتضع بينها ورقة، وذلك لتقويتها وتغطية الخرم في نفس الوقت.

أما الألمـــان فيستخدمون أحدث الآلات والأدوات، وذلك لتسهيل الترميم والصيانة والتنظيف، فمثلا البلاستيك الذي كان يستخدم في الترميم الخاطئ الذي ذكرناه قبل، اخـــترع له الألمان جهاز خاص لإزالته وتنـــظيف الورق في نفس الوقت من الغراء، ويسمى هذا الجهاز(REITEL)، وطبعا بدون إزالة المكتوب، وحتى تنظيف المخطوط من الحشرات والغبار ينظفونه بالفرشاة داخل آلة تسف الغبار.كما

ابتكروا جهاز قادر على إزالة الحموضة من الكتب والوثائق والجرائد القديمة وتقوية أوراقها، فقد قرأت في إحدى الجرائد طريقة استعماله:

" تبدأ هذه الطريقة الألمانية بتجفيف الكتب داخل فرن شبيه بجهاز تعقيم الأدوات الطبية، ويكون الفرن مفرغا من الهواء، وتتولى موجات كهربائية صغيرة تخلص الورق من أي أثر للرطوبة، وذلك خلال ساعة تقريبا، وبعد التجفيف تتولى مقطورة نقل الكتب لفرن ثان مفرغ من الهواء بدوره يتم حقنه بحوالي 1000 لتر من المواد الكيماوية والمزيلة للحموضة وهي مواد غير سامة عند تحللها .... وهذه المادة المزيلة للحموضة لا تتضمن تحولا، ولذلك فإنها لا تزيل مداد الكتابة ولا تفسد الألوان ولا غراء التسفير.

ويدخل التيتان في تركيب المادة بدوره لتقوية الورق بعد إزالة حموضته. بعد غمس الكتب في هذه المادة، يجري تجفيفها بالموجات الكهربائية القصيرة خلال 20 دقيقة.

ويسترجع التقنيون قسما هاما من المحلول الكيماوي بواسطة التكثيف ليعاد استعماله في دورة الجهاز.

بعد إزالة حموضة الورق، تبقى فيه مواد قلوية تحفظه مدة طويلة من الحموضة.

أما في أمريكا فقد توصل خبراء مكتبة الكونجرس الأمريكي مع علماء الكيمياء في مؤسسة أكزو الهولندية إلى وسيلة لحفظ المخطوطات

والمطبوعات لمئات السنين باستعمال مادة الداي يثيل زنك التي تتبخر في غرفة التفريغ وتتفاعل مع بقايا الأحماض في الورق والتي تسبب تلفه.

وتترسب مادة أوكسيد الزنك على الصفحات لوقايتها وخصوصا عند أطراف الصفحات وهي الأكثر تعرضا للتآكل نظرا لانتقال المواد الذهنية والأحماض مع العرق عند ملامسة القراء للكتب بأصابعهم ولقرب الأطراف وتعرضها للتلوث الجوي.

وتحمي هذه الطريقة الكتب المخطوطة والمطبوعة لمئات السنين، ويمكن تحصين ألف كتاب في كل مرة في غرفة التفريغ وبتكلفة تقل كثيرا عن تكلفة الميكروفيلم.

أدوات الترميم منذ العصر الموحدي.

منشار : أداة لقطع الدفف الخشبية

المطرقة : أداة يسمر بها الحلي في الدفف الخشبية

المقلع : أداة يقلع بها الحلي

ورق الطلحي : ورق رقيق لترقيع الأوراق المخرومة للمخطوط

سكين : أداة لترقيق الجلد وتليينه

الإشفى والإبرة : أداة لخرز قراب المصحف (محفظته)، وخياطة المخطوط، ونسج البرشمان.

المعلقات : قطع مستطيلة من الجلد (الرق) تستعمل بعد الترميم، وذلك لتثبيت الدفف.

علماء مرممون:

إلى جانب المسفرين العلماء الذين ذكرناهم قبل، كان كذلك بعض العلماء يرممون المخطوطات مثل:

1- إدريس بن التهامي المكناسي، كان حسب ابن زيدان " إتحاف أعلام الناس" يحترف تسفير الكتب وإصلاح المبتور منها.

2- المكي الدكالي امبيركو الرباطي، كان محسن في عمله، وفي إصلاح ما تلاشى من الكتب.

3- محمد بن محمد الخياط أبي القاسم الدكالي المشترائي ابن إبراهيم الفاسي، ترجمته في "سلوة الأنفاس" كان أحد أعلام فاس، وكان يرمم المخطوطات العتيقة، فمن بين المخطوطات "رحلة تاج المفرق" للبلوي، كان قد رممها بعد أن تلاشت أوراقها، وذيلها بهذه الفقرة بخطه: "انتهى إصلاح هذه النسخة بعد تلاشيها وإشرافها على التلف ضحوة العشرين لشعبان المبارك عام ثلاثة وستين ومائة وألف على يد عبد ربه... محمد بن محمد بن إبراهيم الدكالي محندا الفاسي منشئا ومولدا".

معجزة وردت في التاريخ الإسلامي:

من المعجزات التي وردت في التاريخ الإسلامي أنه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كانت قريش قد تعاقدت على مقاطعة بني هاشم، وكتبت أمر المقاطعة في صحيفة من رق وعلقوها في جوف الكعبة وبقيت

معلقة ثلاث سنوات فأكلت الأرضة هذه الصحيفة التي سطر عليها عهد المقاطعة و لم يبق منها سوى ما هو مكتوب عليه "باسمك اللهم"

وفي ختام محاضرتي أود أن أقدم لحضراتكم هذه الحكاية التي حكاها المقري في نفح الطيب على لسان الحضرمي الرحالة وجامع الكتب يقص علينا قصة وقعت له في سوق الكتب في قرطبة قال: " أقمت مرة في قرطبة ولازمت سوق كتبها مدة أترقب فيها وقوع كتاب لي بطلبه اعتناء إلى أن وقع وبخط مليح وتسفير مليح، ففرحت به أشد الفرح وجعلت أزيد في ثمنه فيرجع إلى المنادي بالزيادة إلى أن بلغ فوق حده فقلت له :

" أعز الله سيدنا الفقيه إن كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك، فقد بلغت فيه الزيادة بيننا فوق حده فقال لي : لست بفقيه، ولا أدري ما فيه ولكنني أقمت خزانة كتب، واحتفلت بها لأتجمل بها بين أعيان البلد وبقي بها موضع يسع هذا الكتاب، فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد استحسنته و لم أبال بما أزيد فيه والحمد لله على ما أنعم به من الرزق فهو كثير- قال الحضرمي- فأحرجني وحملني على أن قلت له : نعم ألا يكون الرزق كثير إلا عند مثلك يعطي الجوز من ليس له أسنان، وأنا الذي أعلم ما في هذا الكتاب، وأطلب الانتفاع به يكون الرزق عندي قليل وتحول قلة ما بيدي بيني وبينه ".

كتاب التوراة في شكل لفافة جلدية طولها
43 مترا ملتفة حول عود من الخشب
محفوظ بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية

هذا النص شاركت به بالإذاعة المغربية في برنامج
كيف نقرأ القرآن الذي يسهر عليه
الأستاذ أحمد بابا العلوي

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

في هذه المشاركة المتواضعة سأتحدث عن صناعة من أشرف الصناعات في العالم الإسلامي. خاصة في المغرب الأقصى، ألا وهي صناعة تسفير المصاحف الشريفة.

وقبل ذلك لابد أن أعرف بهذا الكتاب المتواضع الذي سميته " تاريخ فن تسفير المصاحف الشريفة بالمغرب " من عهد الموحدين إلى عهد الشرفاء العلويين وهو يقع في 150 صفحة من الحجم المتوسط.

في الواقع هو كتاب تاريخي وتعريفي وتعليمي في آن واحد، حاولت أن أعرف فيه بتاريخ فن تسفير المصاحف الشريفة وزخرفتها وترميمها، وبالدور الكبير الذي كان لهذا الفن على مر العصور، وأيضا التركيز على الجوانب التقنية والتزيينية للمصاحف، انطلاقا من عهد عبد المومن بن علي الموحدي إلى عهد الشريف العلوي المغفور له الحسن الثاني رحمه الله.

ويبدأ هذا الكتاب بتسفير مصحف سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه في المغرب في عهد الخليفة عبد المومن بن علي، وتسفير مصحف بخط عمر المرتضى آخر الخلفاء الموحدين، وتسفير مصاحف مرينية بخط السلطان أبي الحسن المريني، وتسفير مصحف عقبة بن نافع الفهري في عهد السلطان العلوي المولى عبد الله بن إسماعيل، وأخيرا تسفير المصحف الحسني في عهد الملك الحسن الثاني رحمه الله.

وللمزيد من التوضيح، قمت بإضافة نماذج مصورة من آلات وأدوات التسفير والتذهيب والترميم القديمة والحديثة، وعدد من الرسوم التي تسهل الاستفادة والتلقي.

بالنسبة للمصحف العثماني، فكما هو معروف أن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وزع المصاحف على الأمصار في القرن الأول للهجرة لجمع المسلمين على مصحف واحد خوفا من التحريف، وخوفا من ضياع شيء منه. وعدد هذه المصاحف التي بعثها عثمان بن عفان رضي الله عنه أربعة واحد لمكة والثاني للبصرة والثالث للكوفة والرابع للشام. وهناك من يقول عددها سبعة، مكة والبصرة والشام والكوفة واليمن والبحرين والمدينة المنورة. والذي يهمنا هو المصحف العثماني الذي وصل هدية من قرطبة إلى الخليفة الموحدي عبد المومن بن علي، وسفر في المغرب، فقد اجتمع عدد كبير من الصناع من مراكش العاصمة وسائر بلاد المغرب والأندلس.

يقول ابن طفيل في رسالة طويلة : " أن المصحف الذي وصل إلى عبد المومن بن علي اجتمع لتسفيره عدد من الصناع المهرة من مسفرين وزواقين ورسامين وصواغين ونقاشين ومهندسين وحتى البنائين والنجارين.

فتمكنوا من تسفيره بأغشية بعضها من السندس الأخضر أي الحرير الأخضر وبعضها من الذهب والفضة، ورصعوا ذلك بأنواع اليواقيت وأصناف الحجارة الكريمة، واتخذ للمصحف كرسي على شاكله ثم اتخذ للجميع صندوق منقوش، وأعد له مفتاح يدخل فيه، فإذا دخل وأديرت به انفتح الباب بانعطاف الدفتين من تلقائهما وخرج من ذاته. وفي خلال خروجه يتحرك عليه المحمل حركة منظمة مقترنة بحركة يأتيها مؤخر الكرسي زحفا إلى مقدمته. فإذا أكمل الكرسي بالخروج وكمل المحمل بالتقدم عليه انغلق الباب برجوع الدفتين إلى موضعهما من تلقائهما دون أن يمسها أحد. وترتب هذه الحركات الأربع على حركات المفتاح فقط، دون أن تكلف شيئا آخر. فإذا أدير المفتاح إلى خلف الجهة التي أدير إليها في الأول انفتح الباب، وأخذ الكرسي في الدخول، والمحمل في التأخر عن مقدم الكرسي إلى مؤخره. وإذا عاد كل شيء إلى مكانه انسد الباب بالدفتين أيضا من تلقائه. وكل ذلك يترتب على حركة المفتاح كالذي كان في حال خروجه " انتهى كلام ابن طفيل.

وإننا لنتساءل لماذا اجتمع كل هؤلاء الصناع، وقاموا بتسفير هذا المصحف بالسندس وبالذهب والأحجار الكريمة، وصنعوا له صندوق من

الخشب يتحرك بصورة آلية، بما فيهم المهندسين، وحتى البنائين، والنجارين، وغيرهم؟

والجواب على ذلك هو أن نيتهم كانت التقرب إلى الله، لأن هذا المصحف مقدس بطبيعة الحال، ولذلك سفره كل من طلب التقرب إلى الله بعمله هذا.

يقول المسفر الأديب الشيخ بكر بن ابراهيم الاشبيلي وهو معاصر لدولة الموحدين في مقدمة كتابه التيسير في صناعة التسفير عن هذه الصناعة، أي صناعة تسفير المصاحف: " إن الله تعالى بوأها أعلى الرتب، وخصها بأن تكون حجابا لكتابه المنتخب، ومع شرفها فلا يحملها إلا حامل لكتابه الكريم ". وفي الواقع أن حادثة جمع المصحف على يد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بين دفتي مصحف واحد، هي سبب اهتمام المسلمين بنساخة المصاحف وتسفيرها. ومن هنا فإن التفنن في تسفير المصحف العثماني، وتحليته. ما هو إلا عمل مقدس لذلك لا نستغرب عندما اجتمع كل هذا العدد الكبير من الصناع وقاموا بذلك النشاط العظيم.

ولا نستغرب كذلك أن نجد كثير من العلماء المغاربة كانوا يسفرون المصاحف والكتب الدينية وغيرها، ومن أشهر هؤلاء العلماء المسفرين أبو عبد الله محمد بن سليمان الروداني السوسي. يقول عنه سيدي عبد الله كنون رحمه الله في كتابه النبوغ المغربي كانت له يد صناع في كثير

من الحرف والصنائع. كالتسفير، والطرز العجيب والصياغة، وجبر قوارير الزجاج المكسرة، وعمل الاسطرلاب وغير ذلك.

كذلك العلامة الحاج التهامي بن علي البطاوري، حسب محمد دينيه في كتابه مجالس الانبساط، كان عالم وله معرفة بتسفير الكتب. كذلك عبد الرحمان بن الصقر توفي سنة 523 هـ كانت له أيام يوسف بن تاشفين بجوار جامع القرويين حانوت يستغل بها ويسفر الكتب.

إلى جانب العلماء المسفرين، كان بعض العلماء يرممون المصاحف والكتب المخطوطة مثل إدريس بن التهامي المكناسي، يقول عنه سيدي محمد المنوني رحمه الله في كتابه تاريخ الوراقة المغربية، كان عالم ويحترف تسفير الكتب' وإصلاح المبتور منها أي ترميمها.

كذلك أحد أعلام فاس وهو ابن إبراهيم محمد بن محمد الخياط بن أبي القاسم الدكالي المسترائي، فمن بين مخطوطاته، رحلة تاج المفرق للبلوي، توجد نسخة قديمة تلاشت أوراقها، وقد أصلحها ورممها الوراق المنوه به، ووقعها بهذه الفقرة بخطه : انتهى إصلاح هذه النسخة بعد تلاشيها وإشرافها على التلف ضحوة العشرين لشعبان المبارك عام ثلاثة وستين ومائة وألف على يد ربه ... محمد بن محمد الخياط بن ابراهيم الدكالي الفاسي منشئا ومولدا ".

هذا وقد عني المسفرين في عهد عمر المرتضى آخر الخلفاء الموحدين عناية فائقة بالمصاحف، وجعلوها تحفا ثمينة : خاصة من ناحية

التذهيب، والزخرفة على أغلفتها الجلدية. فقد كانوا يزينوها بأختام أو بأشكال زخرفية على كل الجلد بحركة واحدة، وذلك باستعمال ورق الذهب، ولوح معدني محفور ساخن، يضغط على الجلد بآلة الضغط لتبرز بعض أجزاءه و ينخفض البعض الآخر.

ومن أمثلة هذه المصاحف المزخرفة بهذا الشكل، مصاحف موحدية بخط عمر المرتضى، تتألف من عشرة أجزاء، يحتوي كل جزء على ستة أحزاب.

أما في العصر المريني فقد كتب السلطان أبو الحسن المريني بخط يده ثلاثة مصاحف وأمر بتسفيرها، ليوقفها على ثلاثة مساجد مقدسة، مسجد المدينة المنورة ومسجد مكة وبيت المقدس. فجمع القراء لضبطها والخطاطين وكل الوراقين لتنميقها، والمسفرين لتغشيتها وتذهيبها، فصنع لها ظرفا من الأبنوس والعاج والصندل الفائق الصنعة، وغشاها بصنائع الذهب ورصعها بالجوهر والياقوت، واتخذ له الجلد المحكم، المرقوم بخطوط الذهب، من فوقها غلائف الحرير والديباج وأغشية الكتان، فأخرجها في حلة فريدة من الفن المغربي البديع، وبعثها مع الأميرة مريم زوجة والده للديار الحجازية لأداء مناسك الحج، إضافة إلى رصد الأموال الباهضة لشراء الضياع بالمشرق ليكون ريعها وقفا على القراء في المصاحف المذكورة.

وفي العصر السعدي ظهر المصحف العقباني الكبير، وهو مصحف عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه، نسخه بالقيروان من المصحف العثماني، فكان متداولا بين الملوك السعديين إلى أن انقرضت دولتهم وجاءت الدولة الشريفة العلوية. فانتقل المصحف المذكور إليها، فتداولته ملوكها إلى أن جاء السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل رحمه الله، فبادر بإصدار أمره بتسفير ثلاثة وعشرين مصحفا بين كبير وصغير، ومن جملتها المصحف العقباني الكبير. فسفرت كلها محلات بالذهب والياقوت، ثم بعثها هدية للحرم النبوي. وفي عصر الحسن الثاني رحمه الله اعتنى بكتاب الله، فعهد رحمه الله إلى وزيره السابق في الأوقاف والشؤون الإسلامية السيد الحاج أحمد بن عبد الرحمان بركاش ليقوم بمهمة ترشيح أحد الخطاطين الممتازين، والفقهاء لتصحيحه، فرشح السيد أحمد بن الحسين السوسي البهاوي لكتابة المصحف الحسني، كما رشح الأستاذ السيد أحمد بن أبي شعيب الصديق الدكالي ، والسيد محمد بن كبور العبدي، والسيد محمد بربيش، والسيد أحمد الحسناوي لتصحيح رسم المصحف وضبط مصطلحاته. وذلك سنة 1387هـ/1967م فكتب هذا المصحف بخط مغربي مبسوط مرونق على أرضية مذهبة وخاصة الصفحة الأولى والثانية كتبت في وسط إطار مزخرف باللونين الأخضر والأحمر، ثم سفر بالجلد المغربي الأخضر الممتاز، وزين بالتذهيب وسط الجلد بزخارف في شكل ضفائر مكتوب في وسط الدفة اليمنى " وإنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه

إلا المطهرون " وفي الدفة اليسرى. قرآن كريم طبع هذا المصحف الشريف بأمر مولانا أمير المؤمنين وحامي حمى الملة والدين جلالة ملك المغرب الحسن الثاني عام 1387 هـ. واليوم تحظى المصاحف بالرعاية السامية من قبل أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله وخاصة مصاحف المكفوفين أي المكتوبة بطريقة براي. حيث اعتنى جلالته بها وشجع على طبعها بهذه الطريقة.

قال تعالى : " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون "

ومن هنا فقد اعتنى الملوك المغاربة عناية فائقة بالمصاحف الشريفة، وذلك بنسخها وطبعها وتسفيرها تسفيرا نفيسا. وإهداءها للمساجد، وخاصة مسجد مكة، ومسجد المدينة المنورة وبيت المقدس. والسلام عليكم ورحمة الله.

يوم السبت 8 يونيو 2002

الإذاعة المغربية بالرباط

هذه الكلمة القصيرة شاركت بها بمناسبة

منحي جائزة محمد ابراهيم الكتاني

لإحياء التراث وتحقيق المخطوط

الذي تنظمها الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي.

" بسم الله الرحمان الرحيم "

السيد أمين السر الدائم للأكاديمية للمملكة المغربية الدكتور عبد اللطيف بربيش، السيد الكاتب العام لوزارة الشؤون الثقافية الأستاذ إدريس الاسماعيلي العلوي، السيد رئيس الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي الأستاذ عبد الرحيم بنسلامة، السيد الدكتور محمد حجي، السيد محافظ المكتبة الوطنية (الخزانة العامة) الأستاذ أحمد توفيق، السادة الأساتذة الكرام، أيها الحضور الكريم.

إنه لمن دواعي الغبطة والسرور أن امثل أمامكم اليوم لتسلم جائزة العلامة المرحوم سيدي محمد ابراهيم الكتاني التي تنظمها الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي. إن تنظيم هذه الجائزة يعتبر مبادرة محمودة لتشجيع البحث في تقافتنا المغربية الأصلية، ومنح الباحثين فرصة للتنافس الشريف إغناءا لمصادر البحث وتعميقا لقضاياه وظواهره.

أيتها السيدات والسادة :

حين التحقت (بالخزانة العامة) سنة 1970 للعمل بها، شاء القدر أن أجد العلامة المرحوم سيدي محمد ابراهيم الكتاني محافظا لقسم المخطوطات بها، وبذلك فقد كان له الفضل في جمع الكثير من المخطوطات من الزوايا، والخزائن المغربية الخاصة، حفاظا على هذا التراث العظيم.

وكان المرحوم سيدي محمد إبراهيم الكتاني أديبا لامعا، وعلامة بارزا كان لا يتكلم إلا بالعربية الفصحى حتى مع أبسط الناس. وكان عليه الجد والوقار، وكان أيضا رجلا متواضعا، كريما ووطنيا مكافحا.

كما أنه ساهم بحظ وافر في التعريف بتراثنا الحضاري في العديد من مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة، وأشهر مؤلفاته المطبوعة كتاب "من ذكريات سجين مكافح".

رحم الله الأستاذ سيدي محمد إبراهيم الكتاني برحمته الواسعة، وأسكنه فسيح جناته مع آبائه وأجداده.

أيتها السيدات والسادة،

يسعدني اليوم أن أمثل أمامكم لتسلم جائزة هذا العلامة المجاهد الذي دأبت الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي على تنظيمها. وبهذه المناسبة يسعدني أيضا أن أتقدم بجزيل الشكر إلى السادة الأساتذة المشرفين

على هذه الجمعية الأصيلة على تشجيعهم لمجال البحث والدراسة، وإنها لبادرة محمودة نتمنى لها الاستمرار والعطاء المثمر.

يعتبر الكتاب الذي قدمته للجائزة " تاريخ فن تسفير المصاحف الشريفة والكتب المخطوطة بالمغرب من عهد الموحدين إلى عهد الشرفاء العلويين" كتاب تاريخي، تعريفي، فني، وتعليمي في آن واحد. حاولت أن أعرض فيه لتاريخ التسفير بدءا من تسفير مصحف سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه في المغرب، ومصحف بخط عمر المرتضى آخر الخلفاء الموحدين، ومصاحف مرينية بخط السلطان أبي الحسن المريني، ومصحف عقبة بن نافع الفهري، وأخيرا المصحف الحسني.

كما أنه كتاب في تاريخ فن الزخرفة والتذهيب والترميم، حاولت جهد المستطاع أن أبرز من خلاله أهم المحطات التاريخية التي عرفها هذا الفن العربي الأصيل. ولذلك فإن (مهنة تسفير المخطوطات كانت ولا تزال في الغرب الإسلامي من أشرف الصناعات وصارت هي الحرفة المفضلة لذا نخب الأسر النبيلة) على حد تعبير الأستاذ البحاثة المؤرخ سيدي محمد المنوني رحمه الله في تصدير الذي خص به الطبعة الثانية من كتابنا " تسفير وتذهيب الكتب وترميم المخطوطات ".

أيتها السيدات والسادة،

في خـــتام هذه الكلمة القصيرة أجدد شكري للجمعية المغربية للتضامن الإسلامي على منحها لي لجائزة العلامة سيدي محمد ابراهيم الكتاني، وعلى المجهودات التي تبدلها في سبيل تشجيع البحث والباحثين.

كما أشكر كل الأصدقاء الذين شجعوني على إنجاز هذا العمل المتواضع، وخاصة الصديق العزيز الأستاذ التهامي بنموسى الذي شجعني ماديا ومعنويا.

ولا تفوتنـــي المناسبة من أن أجدد تشكراتـــي الخالصة للأستاذ عبد الرحيم بنسلامة رئيس الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي على تشجيعاته المتواصلة.

والله ولي التوفيق والسلام عليكم

ورحمته تعالى وبركاتـــه.

" بسم الله الرحمن الرحيم "

مناقشة وتوقيع كتاب التيسير في صناعة التسفير
للشيخ بكر بن ابراهيم الاشبيلي.
بمكتبة حديقة الأوداية

أيها الحضور الكريم، أود في البداية أن أشكر جمعية الأعمال الاجتماعية لوزارة الشؤون الثقافية لإتاحتها لي الفرصة للتوقيع على كتاب " التيسير في صناعة التسفير" للشيخ بكر بن ابراهيم الاشبيلي وإلقاء هذه الكلمة القصيرة.

في الحقيقة عندما أخبرني رئيس هذه الجمعية بأن التوقيع على هذا الكتاب سيكون هنا بمكتبه حديقة الأوداية سررت غاية السرور لماذا ؟

لأنني قبل أن التحق بالمكتبة الوطنية (الخزانة العامة) سنة 1970 للعمل بها في قسم التسفير كنت قد بدأت تعلم صناعة التسفير (الأوروبي) هنا بحديقة قصبة الأوداية. في أواخر الستينيات، كان آنذاك وزير الشؤون الثقافية الأستاذ محمد الفاسي، فكان رحمه الله يهتم بصناعة التسفير اهتماما كبيرا لدرجة أنه في ذلك الوقت أنشأ داخل هذه الحديقة شبه مدرسة لتعليم الشباب هذه الصناعة، وطبعا كنت من بين هؤلاء الشباب، ومازلت أذكر أنه كان قد خصص لنا منحة شهرية لتشجيعنا على تعلمها، وكان مقدارها 25 درهما كانت في أواخر الستينات لها قيمة بالنسبة لنا نحن

الشباب الفقراء، خاصة وأن عمرنا كان لا يتجاوز 15 أو 16 سنة، وكان المدير المسؤول عن هذه المدرسة والمكتبة الموجودة بهذه الحديقة هو الحاج عثمان المريني رحمه.

في الواقع عندي ذكريات جميلة هنا بهذه الحديقة.

أما فيما يخص كتاب " التيسير في صناعة التسفير " الذي وفقني الله لتحقيقه ومقارنته مع كتاب " صناعة تسفير الكتب وحل الذهب " للفقيه محمد السفياني، فقد ألفه الشيخ الاشبيلي في العصر الموحدي، وبالضبط في عهد يعقوب المنصور، وقد قسمه إلى عشرين بابا.

وما يلفت النظر في كتاب الشيخ الاشبيلي هو أنه لم يكتف بوصف أساليب فنون التسفير فقط، بل وصف لنا باب خاص في ترميم المخطوطات ومعالجتها، وهو باب العمل في الأسفار البوالي ورد الكسا عليها. وأكثر من ذلك وصف لنا في باب الأغرية، غراء ضد الأرضة، وهو غراء يمزج مع نباتات طعمها مر وطارد لها، مثل الإفسنيين، والعلقم، والحنطل، والصبار.

في الحقيقة كنت أظن أن ترميم المخطوطات هو من ابتكار الغرب، وبعد أن حققت هذا الكتاب، وجدت أن المسلمين نبغوا في هذا الفن، ورمموا مخطوطاتهم منذ أكثر من ثمانية قرون، خاصة في المغرب والأندلس.

فكانوا قبل أن يرمموا المخطوط، يفككون أوراقه من الخياطة ثم يرممون الأوراق المخرومة بالكاغيد الطلحي، ثم يخيطونها من جديد، وينسجون البرشمان (الحبك) على رؤوس الكراريس، ثم يرقعون ما نقص من الغلاف الجلدي، وحينئذ يركبونه على الكتاب المخطوط.

وحتى التمزيقات، كانوا يزيلونها من الأوراق بمواد خاصة فمثلا إذا تمزقت أوراق المخطوط بالزيت، كانوا يزيلونه بأسلوب الناشف أي بالجبص الساخن.

أما التسفير والتذهيب والزخرفة، فقد بلغ الموحدون أعظم مراتب ارتقائهم فيها وأصدق دليل على ذلك هو ما قام به عدد من الصناع المهرة في تسفير مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي وصل للخليفة عبد المؤمن بن علي كهدية من أهل قرطبة. فقد كان الكل يتبارى ويتنافس لتجميله وتزيينه. فسفروه بالسندس الأخضر أي الحرير الأخضر، والذهب، والفضة. ورصعوه بأنواع اليواقيت وأصناف الحجارة الكريمة، ثم صنعوا للمصحف كرسي خاص، وصندوق أوتوماتيكي، بحيث يفتح بمفتاح، فيخرج المصحف والكرسي من تلقائهما دون أن يمسهما أحد.

هذا زيادة على ما امتاز به التسفير الأندلسي المغربي في العصر الموحدي من أساليب فنية، كالتقبيب أي تدوير ظهر الكتاب والجناحين، ودون هذا فإن صنائع أخرى كان المسفر يصنعها بنفسه، وكانت في غاية التقدم والإتقان، مثل صناعة أقربة المصاحف أي أحفظتها، والمجمع الذي

يجمع فيه أدوات النساخة. وما يلفت النظر كذلك هو أن المسفر كان يصنع إلى جانب هذا كله الكرطون الخفيف، والفرشاة الجلدية ليطلى بها الغراء وحتى البرشمان كان المسفر ينسجه بنفسه على رؤوس كراريس المخطوط.

ومن المعروف أن التسفير الإسلامي يتميز بتصميمه، وأنواعه كثيرة، خاصة من ناحية التذهيب والزخرفة والنقش، فإلى جانب التسفير المغربي والأندلسي الذي يتميز بكثرة الزخارف والهروب من الفراغ، كان يستعمل كذلك في المغرب والأندلس التسفير المصري المختصر، ثم ظهر في العصر السعدي التسفير الفارسي والتركي.

وبقيت هذه الأنواع تستعمل في المخطوط المغربي في العصور المتتالية وللأسف انقرض هذا التسفير الإسلامي في عهد الحماية بعد أن استخدمت سياسة الحماية أساليب أوروبية حديثة وطمست أسلوبنا العربي الإسلامي الأصيل.

وصدقوني إنني أصاب بألم شديد حينما أرى الكتب الآن تسفر بطريقة أوروبية وخاصة المصاحف.

ولإحياء التسفير العربي الإسلامي التراثي الذي انقرض في المغرب كما سبق أن قلت، أتمنى أن تقوم وزارة الشؤون الثقافية بإنشاء مرة أخرى هنا بحديقة قصبة الأوداية التابعة لهذه الوزارة مدرسة خاصة لتعلمه.

وبحكم خبرتي في فن تسفير المخطوط بالطريقة العربية الإسلامية، فإني على استعداد لألقن مبادئه في هذه المدرسة لكل من أبدى الرغبة في ذلك.

وفي ختام هذه الكلمة القصيرة، أجدد شكري لجمعية الأعمال الاجتماعية لوزارة الشؤون الثقافية التي تفضلت بدعوتي للتوقيع على هذا الكتاب والله ولي التوفيق.

والسلام عليكم ورحمته تعالى وبركاته

الأيام الثقافية والرياضية لموظفي وزارة الثقافة.

الدورة الأولى

27 – 30 مارس 2003.

" بسم الله الرحمن الرحيم"

مناقشة وتوقيع كتاب (كيفية تسفير الكتب)
للقاضي عبد العزيز الرسموكي
بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية.

في البداية أشكر الأستاذ ابراهيم إغلان على هذا التقديم

وأشكر جمعية الأعمال الاجتماعية للمكتبة الوطنية لإتاحتها لي الفرصة لمناقشة وتوقيع هذا الكتاب، وأشكر الحضور الكريم.

كتاب (كيفية تسفير الكتب) للقاضي عبد العزيز الرسموكي، هو في الواقع الكتاب الثالث الذي وفقني الله لتحقيقه، فقد سبق لي أن حققت الكتاب الأول اسمه (التيسير في صناعة التسفير) للشيخ بكر بن ابراهيم الاشبيلي وهو معاصر لدولة الموحدين.

والكتاب الثاني اسمه (صناعة تسفير الكتب وحل الذهب) للفقيه محمد السفياني وهو معاصر لدولة السعديين.

أما هذا الكتاب الثالث الذي نحن بصدد مناقشته وتوقيعه فهو من أواخر العصر السعدي وهو غير معروف ولم يذكره أحد وحتى ترجمة مؤلفه المختصرة التي وردت في كتاب سوس العالمة للعلامة محمد المختار السوسي لم تذكره، فقد ذكرت جميع كتبه إلا هذا الكتاب.

و إننا لنتساءل لماذا هذا الكتاب غير معروف و لم يذكره أحد؟ والسبب لأن هذا الكتاب أشبه برسالة في موضوع التسفير لا تتجاوز عدد صفحاتها ثلاث صفحات، ولا يعتبر كتابا خاصة وانه النسخة الوحيدة ونادرة وهي ضمن مجموع من محتويات إحدى الزوايا بسوس.

طبعا هذا الكتاب قارنته مع كتاب الشيخ الاشبيلي، وكتاب الفقيه محمد السفياني فماذا لاحظت.

- لاحظت ثـــلاث ملاحظات :

❶ الملاحظة الأولى أن مصطلحات التسفير التي كانت تستعمل في العصر الموحدي، ليست هي المصطلحات التي استعملت في العصر السعدي، وليست هي المصطلحات التي استعملت في العصر العلوي. فمثلا آلة الضغط التي يضغط بها المسفر الكتاب، كانت تسمى في العصر الموحدي (التخت) وفي العصر السعدي سماها الفقيه محمد السفياني (الملزم) وفي أواخر العصر السعدي سماها القاضي عبد العزيز الرسموكي (القرمات أو الطراوة) وفي العصر العلوي أصبحت تسمى (الزيار). كذلك اللسان الذي يتميز به التسفير العربي الإسلامي، فقد سماه الشيخ الاشبيلي(الأذن) وسماه الفقيه السفياني (اللسان) أما القاضي عبد العزيز الرسموكي فسماه (المرجع).

هذه بعض الأمثلة في مصطلحات صناعة التسفير، وهناك أمثلة كثيرة لا داعي لذكرها كلها. إذن هذه المصطلحات تتغير حسب العصور.

❷ الملاحظة الثانية التي لاحظتها هو أن التسفير القديم كان متعبا جدا مقارنة مع التسفير في وقتنا الحاضر. فمثلا دفف الكتاب كان في القديم المسفر يصنعها بنفسه بالأوراق. فكان يلصق عدة أوراق ليصنع منها دففا، أما في وقتنا الحاضر فأصبحت الدفف تصنع في معامل لصناعة الكرطون الخفيف.

كذلك تقصيص الكتاب، كان المسفر يقصصه بالسيف أو السكين بعد لزمه في الملزم، وهذه العملية كانت متعبة جدا، وتحتاج إلى عضلات قوية. وفي وقتنا الحاضر أصبحت تستعمل آلة التقصيص الميكانيكية، أو الكهربائية لتقصيص الكتب. كذلك ترقيق الجلد كان المسفر يرققه بالسكين، أما اليوم فأصبح يرقق بآلة الترقيق الكهربائية.

كذلك البرشمان أو الحبك كما سماه الشيخ الاشبيلي، فكان المسفر ينسجه بيده بالحرير الملون، أما اليوم فيستعمل المسفر البرشمان الاصطناعي وحتى الغراء والفرشاة كان المسفر يصنعها بنفسه، ورغم أن صناعة التسفير كانت قديما متعبة وبأدوات بدائية فقد ترك لنا أجدادنا رحمهم الله مخطوطات مسفرة آية في الجمال الفني.

❸ الملاحظة الأخيرة، هو أن التسفير الذي كان يستعمل في المخطوط المغربي هو إما بطابع أندلسي، أو بطابع مغربي أو بطابع مصري أو بطابع فارسي أو تركي. وحتى التسفير بطابع يهودي كان يستخدم في المخطوط المغربي، وهذا طبعا يدل على أن العلاقات المنسجمة التي كانت قائمة بين المسلمين واليهود في المغرب والأندلس بفضل الإسلام الذي لا يعرف التعصب غير الإنساني.

فمثلا التسفير المغربي والأندلسي القديم كان يتميز بالإكثار من التذهيب والزخرفة، وفي وسط الغلاف إما نجمة داوود سداسية الأضلاع وسط الدائرة أو نجمة بثمانية أضلاع أو العشاري أو المربع. أما التسفير المصري فكان مختصرا أي زخرفته مختصرة لا تغطي جلدة الكتاب.

أما التسفير الفارسي فيتميز بالترنجة، وهي جلد شبه إطار في شكل ليمونة تلصق في وسط الغلاف المحفور.

أما التسفير التركي فهو منقوش بالتوريق النباتي، وهو في شكل نباتات وأزهار وغصون وأوراق العنب وغيرها. وكان الفنان المسلم يرسم وينقش النباتات والأشجار وهي ساجدة لله سبحانه وتعالى تنسجم مع النصوص القرآنية، وقد وردت في القرآن الكريم آية بقوله جل جلاله : "والنجم والشجر يسجدان " سورة الرحمن الآية 4.

والآية 17 من سورة الحجر: " ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر

والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فماله من مكرم إن الله يفعل ما يشاء "

تسفير تركي بنباتات وأزهار
وهي ساجدة لله سبحانه وتعالى

في العصر العلوي ظهر في المغرب التسفير بالطرز الصحراوي، و التسفير بالطرز الفاسي و التسفير بطابع أمازيغي وخاصة أحفظة المصاحف ودليل الخيرات التي كانت تصنع بالجلد المطروز أو بالمعادن الفضية.

وفي ختام هذه الكلمة القصيرة أجدد شكري لجمعية الأعمال الاجتماعية للمكتبة الوطنية لإتاحتها لي هذه الفرصة والله ولي التوفيق والسلام عليكم ورحمته تعالى وبركاته.

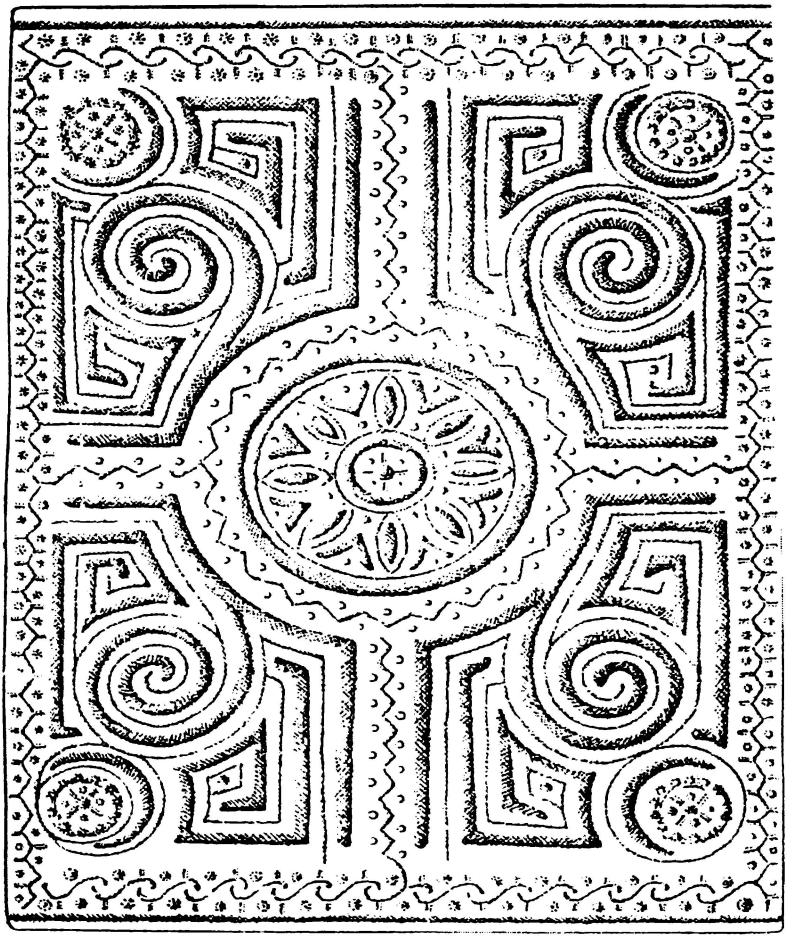

غلاف كتاب مطروز بالطرز الصحراوي

صناعة تسفير الكتب وحل الذهب

للفقيه أبي العباس أحمد بن محمد

السفياني ألفه في ذي الحجة تسعة

وعشرين وألف 1029 هجرية 1619 م

صـــناعـــة تسفير الكتب وحل الذهب

للفقيه أبي العباس أحمد بن محمد السفياني

ألفه في ذي الحجة تسعة وعشرين وألف

1029 هجرية 1619 م

تـــقـــديـــم و تحـــقـــيـــق

الـــــســعـــيـــــد بـنـــمـوســـــــى

مخـــتـــص في ترمـــيـــم وتسفير المـــطـبـــوعـــات

الحجـــرية والكـــتـــب الـــنـاذرة

بالمـــكـــتـــبة الوطـــنـــية

للممـــلكة المغـــربـــية.

الـــــربـــاط

" رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت
علي وعلى والدي وأن اعمل صالحا ترضاه
و اصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من
المسلمين "

" بسم الله الرحمن الرحيم "

مقدمة التحقيق

يعتبر العصر السعدي العصر الذهبي لصناعة تسفير الكتب، فقد ازدهرت فيه هذه الصناعة ازدهارا كبيرا، حيث ظهرت تقنيات وأساليب فنية جديدة، مثل صناعة (الدفف الورقية) التي تطورت تطورا كبيرا وأصبحت هذه التقنية تستخدم بمهارة تامة، و التسفير العثماني و التسفير الفارسي الجميل الشكل الذي ظهر كذلك في هذه الفترة وسمي بالتسفير المشرقي، وأسلوب فن حل مداد الذهب أو ماء الذهب الذي أصبح يحل بطريقة رائقة كما سنرى في هذا التحقيق.

وقد ألف في هذا العصر – أي العصر السعدي – كتيب وأرجوزة في صناعة تسفير الكتب، إلا أن هذا المخطوط مع الأسف غير موجود، ويعتبر في عداد الكتب المفقودة، ولحسن الحظ فقد نشره كما وجده مسيو.ب.ريكارP. RICAR مدير متحف الآثار بفاس سابقا بالمطبعة الشرقية بباريس سنة 1925م في 28 صفحة من الحجم المتوسط، وترجم بعض كلماته بالفرنسية في الصفحات الأخيرة بعد أن قدمه أيضا بالفرنسية.

واسم هذا الكتيب " **صناعة تسفير الكتب وحل الذهب** " للفقيه أبي العباس أحمد بن محمد السفياني، ألفه في ذي الحجة تسعة وعشرين

وألف، ولا يحمل اسم الناسخ، ولكنه يشتمل على تاريخ النسخ، إذ جاءت في آخر باب صفة عمل الترنجة من الجلد للتسفير هذه العبارة :

" انتهى بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل، وصلى الله على من لا نبي بعده، والحمد لله رب العالمين في يوم 23 شوال الأبرك عام 1255 ".

والكتيب يبتدئ بمقدمة وستة أبواب. وقد لاحظت أن الناسخ وضعه في ثلاثة أبواب فقط وغير مرتبة، أي أنه وضع باب صفة صبغ الجلد بنفسج، وباب صفة عمل الترنجة من الجلد للتسفير في غير مكانهما، أي في آخر الكتيب، رغم أن المؤلف ختم كتابه في باب صفة حل الذهب مما تأكد لي أنها من عمل الناسخ لا من صنع المؤلف.

وهذه الأبواب الستة التي قمت بترتيبها:

1/ باب في كيفية عمل الدفف

2/باب في كيفية حزم كراريس الكتاب وتتخيتهم، وكسوته بالجلد، ووشح وسطه بالترنجة

3/ باب في كيفية نسج البرشمان

4/ باب صفة عمل الترنجة من الجلد للتسفير

5/ باب صفة صبغ الجلد بنفسج

6/ باب صفة حل الذهب وغسله وسقيه بالغراء، وصفة الكتابة به.

ونلاحظ هنا أن هذا الكتيب اختصره المؤلف وقسمه إلى ستة أبواب فقط، مقارنة مع الكتيب الذي سبق أن ألفه في العصر الموحدي الشيخ بكر بن ابراهيم الاشبيلي[1] " التيسير في صناعة التسفير". فقد قسمه هذا الأخير إلى عشرين بابا وفصول، وبالرغم من كل ذلك تبقى فائدة كتاب الفقيه بن محمد السفياني عظيمة الأهمية.

- أما ترجمة مؤلف الكتيب الذي هو الفقيه أبي العباس أحمد بن محمد السفياني للأسف لم أعثر على أي ترجمة له في كتب التراجم التي اطلعت عليها، ويظهر أنه كان يحترف تسفير الكتب، خاصة وأنه ذكر لنا في مقدمة كتابه السبب الذي منعه من تعليم الصناعة لغيره، والحافز لتقييدها في الأوراق.

وعلى ما يبدو كان مثقفا وفقيها، فقد وصف لنا بدقة متناهية أسلوب استعمال الدفف الورقية (الكرطون الخفيف) وطريقة التسفير العربي الإسلامي، وصباغة الجلد، وحل الذهب، والغراء وغيره.

وفي وجه الورقة الأولى نجده يحلى بالفقيه.

أما الأرجوزة التي نشرت مع كتابه في باب واحد "باب التبطين" فهي للعلامة الفقيه أبي العباس أحمد بن الحسين بن يوسف الصالحي الزجلي

---

[1] - شرحه وحققه وقارنه، السعيد بنموسى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

الشفشاوني، الشهير بابن عرضون [2]، والمتوفى عام 992هـ. ولا أدري هل النسخة الأصلية نشرت معها هذه الأرجوزة أم أن ناسخ المخطوط هو الذي أضافها.

وعلى كل حال فإنها تلتقي معها في أصل الموضوع

أما عملي في الكتيب، فلقد رتبته ترتيبا جيدا، وقمت بتصحيح بعض الأخطاء الفنية، وأكملت البعض، وشرحت ما غمض منه، وقارنته مع (كتاب التيسير في صناعة التسفير) للشيخ بكر بن ابراهيم الاشبيلي(وكيفية تسفير الكتب) للقاضي عبد العزيز الرسموكي ومع مخطوط في علم الكمياء عثرت عليه مؤخرا بالمكتبة الوطنية بالرباط عنوانه "النجوم الشارقات في بعض الصنائع المحتاج إليها في بعض الأوقات" للإمام أبو عبد الله محمد بن أبي الخير الحسني الارميوني، ووضعت رسومات وصور فوتوغرافية التي تسهل الاستفادة والتلقي.

والله أسأل أن يتقبل عملي هذا، ويجعله خالصا لوجه الكريم، إنه سميع مجيب.

السعيد بنموسى
مسفر ومرمم الكتب
بالمكتبة الوطنية
للمملكة المغربية

---

[2] - جاءت ترجمته في سلوة الأنفاس، ج2، ص: 268.

أرجوزة للفقيه العلامة
سيدي أحمد بن عرضون

في باب التبطين [1]

إياك والتبطين بالكتاب // كتاب رب جل عن ذي الباب
أو بحديث المصطفى خير الورى // صلى عليه مهما ذكرا
أو الذي احتوى على اسم الله // واسم حبيبه العظيم الجاه
إلا إذا الجنس لجنسه صدر // فبعضهم أجازه لدى الضرورة [2]

---

[1] - التبطين: الدفف أو الكرطون الخفيف الذي يكون في باطن الجلد، والذي كان المسفر يصنعه بنفسه كما سنرى بعد قليل، وبعض المسفرين كانوا يستعملونه بالأوراق التي كتب فيها كلام الله أو حديث نبيه صلى الله عليه وسلم. وإذا رجعنا إلى العصر الموحدي نجد الشيخ بكر بن ابراهيم الاشبيلي صاحب كتاب التيسير في صناعة التسفير ينصح المسفر أن يتورع ولا يبطن بالأوراق التي كتب فيها كلام الله أو حديث نبيه صلى الله عليه وسلم.
وفي هذا العصر أي العصر السعدي، أجاز المفتي سيدي قاسم العقباني بالتبطين بها كما جاء في كتاب التيسير في صناعة التسفير الذي نسخه ناسخ مجهول في ثاني يوم ربيع الأول عام أربعة وأربعين وألف.
أنظر كتاب: التيسير في صناعة التسفير للشيخ بكر بن ابراهيم الاشبيلي، تحقيق السعيد بنموسى، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى الصفحة 58.

[2] - في الأصل: الضرر وأقصد المطبوع بالمطبعة الشرقية بباريس.

بسم الله الرحمان الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

المقدمة

الحمد لله الذي ألهم الإنسان منائح الفهم فتحكم، وعلمه بعد الجهل ما لم يكن يعلم، وصلى الله على نبيه العظيم، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما. يقول عبيد الله تعالى وأقل عبيده الراجي رحمة مولاه أحمد بن محمد السفياني عفا الله عنه. هذا تقييد ما أطلعني الله عليه من عمل صناعة التسفير، وما كنت أكتمه عن من لا يمنع الانصاب ولا يدعى بتقصير، وكنت أتأمل في قول النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول: من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من النار يوم القيامة فما رأيت يبرز لفهمي من معنى الحديث الكريم إلا في علم الديانات، وأما علم الصناعة، فما يبرز لي إلا قوله، لا تعطي الحكمة إلا لأهلها فتظلموها. وكنت أتأمل في الناس فما وجدت أحدا يقال فيه من أهلها إلا الناس ذياب في ثياب ما عيشهم إلا الحيلة. لم تجد من تفيده بالصنعة ويوقرك كما يوقر أباه، ويحسبك كأخيه الشقيق، إذا أتاك أحد بشغل تعمله [1] وتطلب له فيه ما يستحق من الأجرة، ثم إنه يعرض عنك ويذهب إلى الذي علمته[2] الصناعة.

---

[1] - في الأصل تعلمه وهو خطأ ظاهر

[2] - في الأصل تعلمه.

فإذا قال له ذهبت إلى شيخك فلان وطلب لي من الأجرة كذا وكذا، فيقول له ارجع إلى صاحبك فالذي طلب قليل.

فأنا إذا لم تعطيني مثل الذي طلب منك مرتين أو مرة ونصف، لم يدخل يدي قطعا وفصلا [3] ويرده إلى شيخه، ويبقى العز عليه لا على شيخه وتجد من علمته الصناعة [4] يتكالب على جلب الدنيا إليه يكاد أن يجلس على كل طريق [5] يجلب الحريف إليه، وإذا قيل له أحق ما يقول الناس، أن فلانا هو الذي علمك صناعة التسفير، يضج من هذه الكلمة، ويقول بل فلان الذي يزعم أنه علمني الصناعة، كان لا يعرف من الصناعة شيئا حتى عرفني وعلمته ما لم يكن يعلم، فحينئذ توصل إلى عمل الصناعة الكاملة. رحم الله أصحاب الأمثال حيث يقولون: كل شيء إذا غرسته ينفعك إلا ابن آدم إذا غرسته يقلعك. فهذا السبب الذي منعني من تعليم الصناعة لغيري، وبعضهم يطلب التعليم مني، فإذا طلبت له الأجرة يقول علمني لله، وأين الذي تعلمه لله فتحمد عاقبة العمل بالخير معهم، وقليل ما هم لم تر من يهاديك ويفتكرك بشيء من المودة، ولا تجد من إذا قصدته إلى باب داره والتقيت معه يعطيك حلاوة الشرف، ويتغافل عنك من حلاوة الطبق، ولا تأخذ من حديثه فائدة، ولا تجد صحبته إلا زائدة، فلما

---

[3] - في الأصل حتى زائدة.
[4] - في الأصل: ويبقى العز عليه وعلى شيخه لا تجد إلا من إذا علمته الصناعة.
[5] - من زائدة.

لم نجد لتعليم الصناعة أهلا في زماننا هذا، وهو عام تسع وعشرين وألف، رأيت أن أقيدها في هذه الأوراق لعلني إذا أدركتني الموت يقع خطي في حجر من يتعلم الصناعة، ويدعو لنا بالرحمة، ورسمتها احتسابا لله سبحانه إنه لا يضيع أجر من أحسن عملا.

باب في كيفـــية عمل الدفف

يعني بالدفف ألواح من الكاغط الذي يكسونه [1] بالجلد على الكتاب، وذلك بأن تأخذ الكاغط، وتدهن الورقة منه بالنشا [2]، وتتركها عن يمينك، وتدهن ورقة ثانية، أعني التي تقابلها، وتنـــزل الوجه المدهون من الورقة على الوجه المدهون من الورقة الثانية، وتحط عليها بكفيك، وتقلبها للوجه الأسفل على الأعلا، وتنظر هل فيه شيء من الرخوة [3] فتمدده وتبسطه بكفيك حتى يمتد غاية امتداده، ولا يبقى في الوجهين كماش، ولا رخو، فحينئذ تنزل الورقتين الملصقتين بعضها ببعض، وتأخذ

---

[1] - في الأصل : الذين يكسونهم، ويعني الصفائح الورقية أو الكرطون الخفيف الذي يكون في باطن الجلد والذي كان المسفر يصنعه بأوراق الكاغط، والكاغط هو الورق، وقد أطلق عليه هذا الاسم لأن ورق آخر كان يستعمل للكتابة في العصر السعدي وما قبله ويسمى الرق والفرق بينهما هو أن ورق الكاغط كان يصنع من القطن أو الأقمشة وغيرها، أما الرق فهو جلد رقيق كان يصنع في المغرب من جلود صغار الغزلان أنظر مؤلفنا فنون التسفير في المغرب والأندلس.

[2] - النشا : غراء يستخرج من القمح.

[3] - الرخوة : يعني الانتفاخ.

ورقتين أخرتين، وتعمل فيهما كيف عملت في الورقتين اللتين قبلهما، حتى تلتقي الأوراق كلها ثنتين ثنتين، وأنشرهم في مكان حار نشرا على الأرض التي ليس فيها تراب. ليلا يلصق على الأوراق المدهونين [أو نشرهم][4] على ألواح [من العود] حتى ييبسوا وخذهم، واقسمهم على عدة الألواح[5]، وانظر كم يصلح من عدة الأوراق التي تصنع منهن الدفة، فإذا أردت أن ترققها فانقص ما تريد من عدة الأوراق، وإذا أردت أن تضخمها، فزد ما تريد على قدر نظرك، فبعد ذلك خذ ما جمعت من الأوراق في كل دفة وحدها، وذلك بأن تأخذ مثلا خمسة أوراق، أو ستة، أو سبعة، على حسب ما تريد، واجعلهم حولك، فخذ الورقة الأولى، وابسطها على لوح من عود، أو رخام، وادهنها بالنشا، وانزلها عن يمينك، وادهن الثانية وانزلها بإزائها، وادهن الثالثة، والرابعة إلى آخرها، وكلما تدهن تتركها بإزاء التي قبلها، فبعد ذلك، تأخذ الأولى وتبسطها على اللوح المذكور من الرخام أعني الذي دهنت عليه الأوراق، فإذا بسطتها على اللوح، خذ الورقة التي بإزائها، أعني المدهونة قبل، فترل الورقة على الأخرى أعني الوجه المدهون بالنشا على الوجه المدهون، وتمحطها بكفيك، وبعد ذلك تدهن الوجه الأعلى الناشف بالنشا أيضا، وتأخذ الورقة الثالثة

---

[4] - في الأصل : فيحرش لبسك الألواح حتى ييبسوا ولعل الصواب ما ذكرته.

[5] - التي تعمل منهم زائدة.

المدهونة قبل، وتترل منهما الوجه المدهون على المدهون، وتمحطهم، وتدهن أيضا الوجه اليابس، وتترل عليه الورقة الرابعة بعد تنشيتها هكذا إلى الورقة الأخيرة فإذا محطتها فخد ورقة من الأوراق اليابسين وتجعلها على الورقة الأخيرة من الجهة اليابسة، وأدلك على الورقة اليابسة دلكا عنيفا بلوحة غليظة مثل قالب التسهيل مثلا. وتكون مكسورة القرون، وتدلك بحرفها حتى يخرج النشا الزايد بين الأوراق الملتصقتين، فحينئذ ترفعها وتترلها على موضعها مواط كلوح أو كاغط وما أشبه ذلك. وتعمل دفة أخرى وتترلها عليها حتى تقضي ما شئت من عمل الدف، فحينئذ تأخذ ما عملت من عمل الدف، وتترلهم بين لوحين غليظين من العود الصابر[6] لضغط التخت[7] بعد أن تعمل بين كل دفتين، ورقتين من الكاغط الذي يكون قالبه يفيض على الدفتين يمينا وشمالا، وفوقا وأسفلا، وشد علي جملة الدف بالتخت قويا حتى ترى الماء يبرز من النشا الذي ألصقت به الورق، واتركهم في التخت نحو نصف يوم أو يوما كاملا، وافرقهم من بين الألواح، وانزع عنهم الكاغط الذي عملت بينهم، فإنك تجدهم كما تحب وتشتهي، وادع بالرحمة لمن علمك.

---

[6] - في الأصل : الصافي وهو خطأ ظاهر

[7] - التخت : آلة الضغط الخشبية (الزيار) وهناك نوع آخر يسمى (الملزم) أو تخت التقصيص أي خاص لتقصيص الكتب. وقد سماه عبد العزيز الرسموكي في كتابه (كيفية تسفير الكتب) القرمات.

فحينئذ تنشرهم في موضع حار الهوى، بغير شمس، لأن الشمس تفسد العمل، واتركهم ليلة حتى يصبح، وعند الصباح توقفهم على طرفهم مع الحائط، فإنهم إذا يبسوا ياتون في غاية الحسن. ولاسيما إن كان الكاغط جيدا، صحيحا، ليس فيه تنقيع من ماء أو برودة أو بات فيه عفن. فإذا لم يكن فيه تعفن، يحمل الدلك بعد كسوة الجلد عليه حتى يرى فيه الوجه، مثل ما يرى في مرآت الزجاج. والله تعالى الموفـــق للصواب.

باب في كيفية حزم كراريس [1] الكتاب
وتتخيتهم وكسوته بالجلد ووشح
وسطه بالترنجة

قـــال المؤلف رحمه الله أول ما يبتدئ به المسفر بعد عمل الدفف أن يناسب أولا [أوراق [2]] الكتاب، واحدة بعد واحدة، وينظر في عقب الورقة، وفي أول التي بعدها، سواء كانوا الكراريس صحاحا أو محزمين من أصولهم، فإذا فرغ من المناسبة وتحقق بصحة كمال الكتاب. فليبتدئ بجمع الكراريس بعضها ببعض، ويلـــفها في رق بالي[3] مثل الذي

---

[1] - - الكراريس: مفردها كراسة (الملزمة) ويعني هنا كيفية خياطتها وضغطها وكيفية تجليد الكتاب بالجلد وزخرفته بالترنجة.

[2] - مطموسة في الأصل والمعنى يقتضيها ومن زائدة.

[3] - في الأصل : رق باله، ويعني ورق مصنوع من الجلد الرقيق القديم الذي يلف على كراريس الكتاب لحفظها حتى لا تظهر عليها أثر بقوة الضرب.

يـــوجد مع الخرم البوالي، ويضم الرق على الكتـــاب ويجـــعله على حجرة ملسا صبرة للضرب، ويضرب على الرق بمنجم [4] ثقيل يزن ستة أرطال [5] أو خمسة أو أربعة، الحاصل من ذلك ويضرب بما يشاكل الحال، ويكون الضرب مناسبا بعضه بإزاء بعض حتى يسكن الكتاب، ويتلين كاغطه، وينضم بعضه ببعض بقوة الضرب، لأن الضرب يعمل فيه ما لم يعمله التخت بالضغط، والتخت بعد [6] الضرب يحكمه حكما بليغا، وإذا عملته في التخت بلا ضرب، فلا يفيد فيه التخت شيئا، ولا يسكن الكاغط بعضه على بعض قطعا، ولو كان التخت كيفما كانت قوته[7]. وإذا عملت الكتاب في التخت بعد الضرب، بأي تخت تجمعه يطيعك كاغيطه[8] ويلين ولو بأضعف التخوت، وفي الضرب سر عظيم.

فـــإذا اطلعت على هذه الفائدة أيها المسفـــر، فادع الله لي بالرحمة، لعل الله يرحمني برحمته. وبعد ذلك فعلم الورقة الوسطى من الكراريس بالخمسة العبارية [9]، وبعد ذلك تجمع الكراريس كلها مركوزة

---

[4] - منجم : آلة حديدية ثقيلة الوزن شبه المطرقة.
[5] - الرطل : اثنتا عشرة أوقية تقريبا، والأوقية 30 جرام تقريبا.
[6] - ذلك زائدة.
[7] - في الأصل : ما كان
[8] - ويدل زائدة.
[9] - يعني علامة يعلم بها وسط الكراريس لسهولة إخراج الإبرة أثناء الخياطة

على رؤوسها من أعلاها إن كانت متناسبة في القالب[10] والمسطرة، وإن كان فيها مخالفة في الكتابة يفيض بعضها على بعض، فتزحف الأوراق بعضها إلى بعض، وفـــوقها إلى أسفل، وتناسب العمل بما يوافق الحال في الوقت، وبعد ذلك تجر[11] خطين بالمداد على أصول الكراريس في موضع تحزيم الكتاب، وتدخل الإبرة بالخيط في- أصل الكراريس في النقطة المرشـــومة بالمداد. ويكون الخيط الذي تحزم به رقيقا صحيحا مسبوكا مبروما، إما على ثلاثة أو أربعة. وفائدة الأمر أن تكون المناسبة فيها يظهر للمسفر. وتجمع[12] كـــراريس الكـــتاب بالخـــياطة بعضها إلى بعض، فإن كانت الكراريس كثيرة وظهر غلط في مـــوضع الخياطة، فيضرب على موضع الخيط بمطرقة على لوح الرخام، حتى يـــسكن ما غلظه الخيـــط، ويـــتم العمل على هذه المناسبة. فحينئذ تمسك الكتاب بالتخت[13] من أصله، ويخـــرج من أصل الكـــتاب قليلا، مثل عرض أصبوعين، وتسوى الكراريس جملة من أصولهم، وإياك أن تحبس شيء من

---

[10] - القالب: مرمة للخياطة ذات مسطرة لتأتي رؤوس كراريس الكتاب متناسبة وغير مخالفة.

[11] - في الأصل: تجرى خطين، ويعني ترسم خطين بالقلم في ظهر الكراريس، وذلك لإدخال الإبرة على تلك الخطوط. وفي وقتنا الحاضر نشق الخطوط بالمنشار

[12] - في الأصل: لجميع وهو خطأ ظاهر.

[13] - يعني الملزم، وهو في شكل خشبتان أو حديدتان تشد إحداهما إلى الأخرى بواسطة حديدة قوية ويجعل بينهما الكتاب ويضغط عليه.

الكـــراريس، وتكون عندك حديدة مثل الشفرة [14] الحذان، وتعد بها أصول الكـــراريس من الطرف الواحد، وتثبت على عددهم، وتعد أيضا من الطرف الآخر. فإن وجدت العدد واحد، فاعلم أنه لم يحتبس من الكراريس شيئا وإن وجدت العدد فيه نقص أو زيادة، فانظر الجهة الـــناقصة. فـــتفـــتـــش على ما نقص من عدد الجهة الكاملة حتى تجده، فـــإذا وجدته، أزح التخت شيئا قـــليلا، وادخل الاشفة [15] في وسط الكراس الناقص، وارفعه برفـــق حتى يصل أصحابه. فإذا تساووا كلهم، فـــشد التخت، واجعل النشا على أصول الكراريـــس، واصله بأصبعك السبابة [16] حتى يســـكن بين الكراريس، وخذ المحط[17] بيدك، وادخل شيئا من رأسه بين الكراريس، وجر به النشا بين الكراريس برفق، ولا تغمق، وامض كذلك بين الكراريس والذي يليه حتى تنتهي إلى آخرهم. وبعد ذلك جر عليه السبابة حتى تتيقن أن النشا قد دخل بينهما، أي الكراريس كلها، فحينئذ ارخ التخت واجذب الكتاب كله في قلب التخت، حتى تكون أحوال الكراريس مستوية مع إفلاق [18] التخت، وشد التخت بالقوام من الجهتين، فإن النشا الزائد بين الكراريس يخرج ولا يبقى

---

[14] - يعني المجواب، وهو حديدة يجاب بها، أي يقطع بها وكذلك يعدل بها الكراريس ليتساووا

[15] - الاشفى : المخرز (المثقب).

[16] - السبابة : أكبر أصابع اليد

[17] - المحط : مدلك من العود.

[18] - أفلاق التخت : الخشبتان التي تشد أحداهما إلى الأخرى (الملزم).

إلا ما يصلح به الحال، واجرد [19] أصول الكراريس بعد المحط، حتى تزيل ما فضل من النشا. وإن ظهر لك شيء عال، فاضربه بالخفيف [20]، حتى يسكن، ويستوي. وبعد ذلك أوقف التخت مع الحائط عن يمينك، وابشر له جناحين [21] من الجلد اللين، الذي ليس فيه صلابة، واتن كل جناح على حد ما تبتغي بجنب الكتاب. وما تقلب على أصول الكراريس أعني قفا [22] الكتاب. فإذا كان الكتاب في أطرافه أوراق مكتوبون بالذهب، أو بالألوان المعقودين بالصمغ العربي[23]، وتخاف أنك إذا عملت عليه الجناحين، وفيها برودة من أثر الماء وتشم الألوان رائحة البرودة وتلصق بعضها ببعض، فاجعل ما طويت من الجناحين من ناحية الكتاب بحيث أنه لا يصل الجناح إلى الكتابة، ليلا يضرها بالندوة [24]، وإنك إذا عملت الجناحين عريضين، فالصقهما على الكتاب حالة كونهما يابسين فلا ندوة، ولا برودة. وإذا أردت لصقهما، فحل التخت ونفسه برفق عن الكتاب، وجر مع طرفي الكتاب الجناحين بعد أن تخرج الكتاب من التخت مقدار عزفة [25].

---

[19] - اجرد: اخرج الكتاب وانزع ما بقي من الغراء.

[20] - الخفيف : أداة خشبية يطرق بها الكتاب والجلد بعد طويه ليلصق.

[21] - يعني فصل جناحين من الجلد ورققهما بالسكين، وقد سماها المؤلف بالجناحين نسبة إلى الجناح الطائر.

[22] - قفا الكتاب : ظهره.

[23] - الصمغ العربي : غراء يستخرج من شجر يسمى السنط، كان يمزج بماء الذهب أو ماء الفضة ويكتب به ليلتصق المكتوب على الورق.

[24] - الندوة : الابتلال (الغراء).

[25] - يعني مقدار ما يلصق على طرفي الكتاب فقط.

وشد التخت شدا جيدا مستويا، ومحط بالعود [26] مع أطراف الكتاب، حتى يعمل بين الجناح، وبين الكتاب طريقا مستوية للنشا، فبعد ذلك أصل الكتاب والجناحين، واقلب الجناحين عليه أحدهما على الآخر بالتمحيط والتسوية، وخذ بعد ذلك ثلاثة أوراق، وادهنهم بالنشا واجعلهم على قـــفا الكتاب وادهن فوقهم بالنشا، وجر عليهم بالمحط حتى تسكنهن من الجهتين والوسط وأطراف الكتاب. ووقف التخت في الهوى المعتدل يوما وليلة، فإذا يبس، واشتد، جر بحديدة قاطعة على طرفي الكتاب، واقطع ما فضل من الكاغيط الذي جمعته بالنشا، وألصقه على قفا الكتاب، وحل التخت، وادخل المخيط بين الكتاب والتخت، فإنه يفترق عن التخت. فإذا نزعت الكـــتاب، قس عليه دفـــتين بعد أن تحدق أطرافهما بالمقراض [27] وتنزل على طرف الدفة المسطرة، وجرهما بحديدة قاطعة [28] حتى تقطعها مستـــوية، لصقها على الجناحين، وبعد ذلك، اجعل ثلاث نقط من النشا على كل جناح، أو أربعا أو خمسا على حسب كبر الكتاب أو صغره، وتجعل عليها الدفة، وكذلك تفعل بالناحية الثانية، وتجعل الكتاب بدفتيه بين لوحتين غليظتين صابرين لضغط التخت، واترك الكتاب بينهما حتى ييبس النشا الذي ألصقت به الدفة على الجناحين. فإذا يبس،

---

[26] - العود : المدلك وقد تقدم شرحه.
[27] - المقراض : المقص الكبير
[28] - يعني المجواب وقد تقدم شرحه

فك الكتاب من التخت تجده قواما، فارسم بالضابط [29] المنتحا، أو القرطبون [30] حتى تأخذ صوابه من ثلاثة نواحي، وقصصه من كل ناحية، وحك التقصيص بالحجر القوصري [31] حتى يذهب أثر قطع الحديد[32]، وامسحه بكفك مما تفننت عليه من الحجر، وأدلك عليه بحجارة، فإنها تصقله غاية. فإذا كملت تقصيصه، فخذ قدر نصف دفة الكتاب اليمنى، وهي التي على أول الكتاب من دفة ثالثة، وفصل منها مرجعا للسفر، وهو الذي يسمى اللسان[33]، وخذ أيضا مما بقي من النصف الباقي من الدفة التي أخذت منها اللسان وفصل منها المرجع الأصغر[34]، وهو الحامل بين الدفة اليسرى التي على آخرها الكتاب وبين المرجع الأكبر الذي يتول على الدفة الأولى، فبعد ذلك دبد[35] وأقسم الدفة الأولى بالتحنيش على نصفين، واجعل

---

[29] ـ الضابط : البيكار.

[30] ـالقرطبون : أداة حديدية في شكل زاوية قائمة.

[31] ـ الحجر القوصري : حجر لصقل التقصيص.

[32] ـ لم يصف لنا المؤلف طريقة التقصيص ولاشك أنه يعني التقصيص بالسكين الطويل

[33] ـ اللسان : هو الذي يتميز به التسفير العربي والإسلامي وهو الذي يجعل مع الدفة اليسرى كعلامة يعلم بها القارئ ما قرأه من الكتاب، وسماه المؤلف كذلك بالمرجع الأكبر.

[34] ـ المرجع الأصغر: غطاء صدر الكتاب يجعل بين الدفة اليسرى والمرجع الأكبر.

[35] ـ يعني ارسم وسط الدفة الأولى بالبيكار ثم بالمدلك على نصفين (التحنيش).

الترنجة[36] على وسط الدفة إن كانت صناعة التسفير مشرقية، ودور عليها بالتحنيش، وبعد ذلك اتبع التحنيش بالحفر بالمفرط [37]، وقس الترنجة على الحفر، واخرف ما زاد أو نقص، حتى ترى أنك إذا نزلت الترنجة في الحفر، تراها نزلت رائجة، ولا عليها ضيق في نزولها، لكي يجيء العمل متقنا. فإذا كسيت الدفة الأولى بالجلد، ومحطته يمينا وشمالا، انزع الدفة من الكتاب، وابسطها على الرخامة بين يديك، وانزل الترنجة على الحفر من فوق الجلد، واضرب على الترنجة بمطرقة صغيرة، ضربا رطبا، لا يكون بالقوي جدا ليلا تقطع الجلد، وكرر الضرب بالمطرقة على الترنجة، فإنه يخرج من تحتها النشا الزائد، وينتفخ الجلد به من أطراف الترنجة، فاضبط ببهمك اليسرى على الترنجة، ومحط بيدك اليمنى، واترك مع أطراف الترنجة من النشا ما ينفع، والذي تراه ليس فيه نفع، ادفعه يمينا وشمالا، حتى يمضي، وخذ أطراف الجلد من ناحية الترنجة على أطراف الترنجة بعنف، حتى إنك إذا نزعت الترنجة من موضعها، يبقى أثرها من أطرافها بحرف قاطع، كأنك رفعتها عن الشمع، وبتكرار الضرب على الترنجة، يعلو النقش فيها، ويؤثر أثرا جيدا، فإذا كملت عمل الترنجة، اعطف أطراف الجلد على أطراف الدفة،

---

[36] - الترنجة: جلد في شكل إطار أو ليمونة يزين به وسط غلاف الكتاب، وهذا النوع من التسفير أصله فارسي ظهر في المغرب في القرن السادس عشر وسماه المؤلف بالتسفير المشرقي لأنه من المشرق الإسلامي بطبيعة الحال.

[37] - المفرط : حديدة كبيرة يحفر بها وسط الدفف لتنزل عليها الترنجة وتسمى أيضا (المشراط).

فإذا أتممت العمل من الدفة الأولى، فابسطها على حجر الرخامة بين يديك، وانزل الكتاب عليها على الهيئة التي كانت عليه قبل الكسوة، واحزم الدفة قليلا ما على حسب ما يصلح به أصل التسفير إذا رجع الجلد بعد اليبس وبعد نسج البرشمان[38]، لأنك إذا نسجت خيط البرشمان، فإنه يزيد ضخامة في قفا الكتاب، فإذا أردت تركيب السفر على الكتاب بعد رشمه [39]، ويبسه، وتبطينه، فإنك تجد التسفير صغر على الكتاب. لأجل ذلك تخرج من التسفير من تحت الكتاب قدر ما يرجع إذا قصر التسفير، ويكون المسفر كيسا لبيبا يعرف ما يزيد وينقص، وما يليق وما لا يليق. قلنا إذا نزلت الكتاب على الدفة الأولى، اطل بالنشا على الدفة الثانية، واكسها بالجلد، واتمم العمل فيها كما عملت في الأولى، ونزل بإزائها المرجع الأصغر بعد طليه بالنشا، ومحطه، وخذ قدامه ويكون بينه وبين الدفة، مقدار عزفة [40] أو أقل، وانزل بعده المرجع الأكبر بعد تغريته، وتمحيطه وتنزل عليه ترنجة ويكون بينه وبين المرجع الأصغر، مقدار عزفتين أو ثلاث عزفات، وترنجة اللسان [41] هذه يكون قدر ربع الترنجة الكبيرة

---

[38] - البرشمان : حرير ملون ينسج به على رؤوس الكراريس لتزيين الكتاب، ونلاحظ أنه في هذا العصر أي العصر السعدي كان ينسج البرشمان بعد التجليد، أي ينزع الغلاف الجلدي من الكتاب لزخرفته بالترنجة ثم تنسج الكراريس بالحرير الملون بعد التشبيك بالخيط بطبيعة الحال.

[39] - يعني بعد عمل الترنجة.

[40] - يعني أقل من نصف سنتيمتر تقريبا

[41] - تستعمل الترنجة أيضا في وسط اللسان، وهي أصغر من الترنجة التي تستعمل في وسط الدفف.

التي في وسط الدفة الأولى، والثانية، وتعطف أطراف الجلد على المرجعين وعلى الدفة الثانية وبعد ذلك تجعل جلدا مبشورا [42] على طرف الدفة الأخيرة، وعلى طرف دفة اللسان، ويكون المرجع الأصغر في وسطه وتحت الجلد المبشور، وتمحط العمل وتزينه وإياك أن [يكون رخو] [43] في الجلد فإذا كان فيه تبنيقا أو رخو، فجير منه شيئا بالتمحيط عند كسوة الدفة الثانية، وشيء تمحطه إلى ناحية التـــرنجة، فإنك إذا جمعت الرخو في الترنجة، وضربت عليها، يمضي فيها ذلك الرخو بالتزطيم والتمحيط، والكياسة، حتى لا يظهر شيء [منه]. [فإذا] كملت الكسوة بالجلد [44] ، ارفعه على قصبة أو شريط [45] في هواء حار، لا يكون فيه شمس لأن الشمس كما قلنا قبل هذا تفسد العمل وتظهر فيه [عيوب] [46] واتركه على القصبة إلى غد، وتـــفقده، فإن وجدته يحمل الدلك، فادلكه، وإن وجدت فيه الندوة والرطوبة، وأنه لا يحمل الدلك، اتركه حتى ييبس ولو بعد يوم أو يومين، أو كيف ما ظهر لك. فإن دلكته وجاء كما تريد فنعم[47]، وإن أردت صقله أكثر من ذلك، فادهنه بالماء فإذا شرب

---

[42] - يعني تبطين اللسان والمرجع الأصغر من الداخل بجلد رقيق.
[43] - في الأصل : وإياك أن تأخذك غرة في الجلد، وهو خطأ ظاهر.
[44] - في الأصل : حتى لا يظهر شيء والرخو بهذا كملت الكسوة وهو خطأ ظاهر.
[45] - أي الغلاف الجلدي يرفع وحده بعد نزع الكتاب منه بطبيعة الحال.
[46] - مطموسة في الأصل والمعنى يقتضيها.
[47] - في الأصل : فيها ونعمت ولعل ما ذكرت هو الصواب.

المـــدهون به، فانـــظر من يمسكه لك على الرخامة وأنت تدلكه كي لا [يهرب من] [48] الرخامة في حالة الدلك، فادلكه بمحارة أو بعود صحيح من صناعة الخراط [49]، فإنه يأتي جيدا، فإذا فسد شيء من صناعة الترنجة بقوة الدلك، فعاوده بالضرب على الترنجة بالمطرقة، فإنه يرجع إلى طريقة كما تحبه وترضاه، وبعد تمام ذلك التسفير، تبطنه سواء كان بالجلد [50] أو بالكاغط واتركه يـــيبس، واشتغل بنسج البرشمان.

باب في كيفية نسج البرشمان [1]

وذلك بان يكون عندك صمغ عربي محلول بالماء مثل العسل خاثرا، فاجعل منه شيئا على رؤوس الكراريس في طرف التقصيص تحت السير الذي تنسج عليه البرشمان بحيث إنك تضع عليها السير والسير نفسه يكون من جلد مدبوغ قد طلى بالصمغ العربي قبل ذلك [2]. فإذا يبس الصمغ الذي جعلته على رأس الكتاب فريقه بريقك وريق السير وانزله على الموضع الذي فيه الصمغ العربي فإنهما يلتصقان معا بالتغرية وادخل الإبرة بالخيط وسط الكراس الأيمن بعد أن تثبت طرف الخـــيط في أصل الكتاب

---

[48] - في الأصل : كي لا يدهن على الرخامة وهو خطأ ظاهر.

[49] - يعني المدلك الخشبي.

[50] - يعني الشدق. انظر كتاب التيسير في صناعة التسفير للشيخ بكر بن ابراهيم الاشبيلي الطبعة الأولى، ص:69، تحقيق السعيد بنموسى.

[1] - البرشمان : حرير ملون ينسج على رؤوس الكراريس.

[2] - في الأصل : حتى ييبس وسرت تأخذ منه السير إذا احتجته للبرشمان زائدة.

من ناحية القفا [و] في الموضع الذي يخرج منه رأس الإبرة [3]، وسر كذلك بالخياطة في الكراريس إلى أن تنتهي إلى الكراس الأخير، واعقد الخيط في الضربة الأخيرة عقدا محكما [4] ، فإن الخياطة تلزم لزما صحيحا وكمل ما بقي بالنسج بالحرير الملون، حتى يكمل عمل البرشمان من الجهتين [5]، وبعد ذلك ركب التسفير على الكتاب بعد تغريته بالنشا، وشد على القفا بخيط وثيق، واجعل الكتاب بين لوحين غليظين كما تقدم قبل، واقرص [6] عليهما بالتخت، واتركه بين اللوحين يعقد ويبس، فإنك تجده يخرج قواما كما تحب، والله تعالى الموفق للصواب سبحانه.

---

[3] - في الأصل : تنشب

[4] - هذه العملية تسمى التشبيك.

[5] - لم يصف لنا المؤلف أسلوب استعمال البرشمان البيزنطي وأنواعه، مثل ما وصفه لنا الشيخ بكر بن ابراهيم الاشبيلي والقاضي عبد العزيز الرسموكي.

[6] - يعني اضغط عليهما بآلة الضغط.

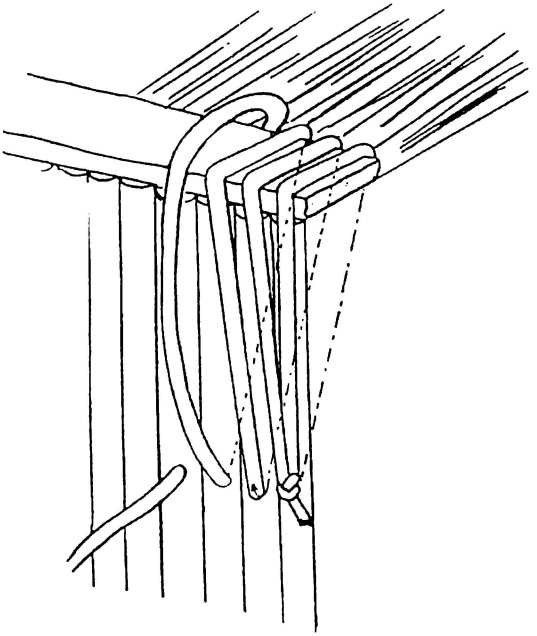

التشبيك بالخيط على السير الجلدي الذي
ينسج عليه البرشمان العربي بالحرير الملون

باب صفة عمل الترنجة [1] من الجلد للتسفير

وذلك بأن تأخذ الجلد المقشر، وتطليه بالغراء الشديد من وجهين، وتلصق عليه جلدين بلا مقشرين مدهونين بالغراء من ناحية السفلى، وتتركه حتى ييبس، وتلصق ورقة من الكاغيط مرشومة بالمداد، وفيها من الصنعة ما تريد، وصفة رشمه وذلك بأن تأخذ ورقة من الكاغيط الرقيق، وتريقها بريقك، واتركها حتى تشرب الريق وتجف قليلا، وتنزلها على أي رسم تريد رسمه، من ترنجة، أو ركن، أو نوارة، أو توريق أو غير ذلك من المرسومين في الكتاب، واضبط عليه بإبهامك، وأصبعك. فإنه يقطع فيه الرشم، فارفعه، واتركه حتى ييبس، واتبعه بالقلم والمداد حتى تظهر لك الصنعة، فإذا ألصقتها على الجلد المتقدم ذكره، ويبست، فاتبع الرسم، واحفر على الصفة المرسومة بمبزغ مثل مبزغ [2]، الفصادة. فإذا انحفر، فاضرب على الجلد المبلول، يرسم فيه ما رسمت في الصنعة. وإذا ظهر لك في الصنعة نقص، فكمله، وقس أيضا في جلد آخر حتى يعجبك العمل.

---

[1]- تعمد الناسخ أن يضع هذا الباب في آخر الكتاب، وكذلك تاريخ النسخ من الأصل، وسنعرف السبب في ختام هذا التحقيق و يصف لنا المؤلف في هذا الباب طريقة النقش على الترنجة والأركان وغيرها. وذلك برسم الزخارف على الكاغيط ثم حفرها على الجلد وقطعها بالمبزغ حتى تبدو هذه الفراغات جميلة الشكل ولعل هذا النوع أصله عثماني.

[2] - في الأصل : المبزق : ويعني المشرط وهو حفر الجلد.

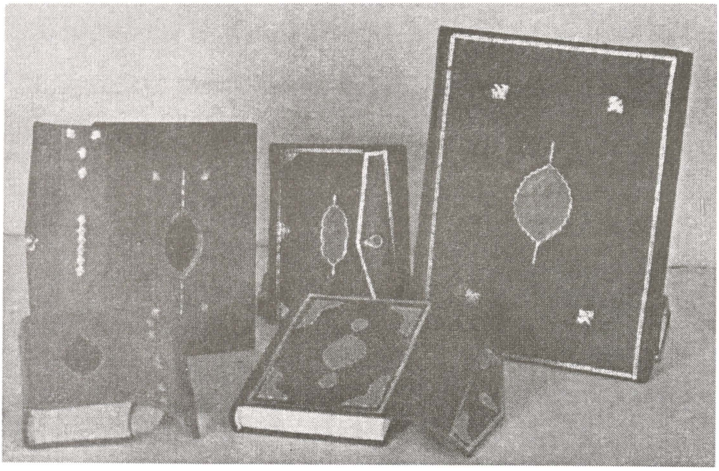

تسفير كتب وزخرفتها بالترنجة قام بتسفيرها (المحقق)

باب صفة صبغ الجلد بنفسج

وذلك بأن تأخذ الجلد المدبوغ بالحور[1]، فتغسله غسلا جيدا بالماء، وتسقعه بحديدة حتى لا يبقى فيه وسخ، واخرزه [2] حتى يكون ينتفخ مثل الزق [3]. وبعد ذلك اسقه بأوقية من الشب محلولا في الماء، وانفخه واعركه حتى يسري فيه الماء بالشب، وافرغ عليه الماء، وبعد ذلك

---

[1] ـ في الأصل : الحودر وهو خطأ ظاهر والحور جلد مدبوغ باللون الأبيض.
[2] ـ يعني خياطته بالمخرز (الإشفى) والإبرة والخيط.
[3] ـ الزق : القربة أي الجلد الذي يجعل فيه الماء وغيره.

اسقه بماء قد طبخ فيه البقام [4] الكحال الجيد، الذي تستطاب به حلاوة إذا دقتـــه بلسانك. وانفخ الجلد بعد الـــسقي، فإذا أنـــتفخ برمه بين يديك، واقلب أسفله أعلاه، وأعلاه أسفله، وافتح فم الزق، فإذا لم يعجبك [5] فزده السقي حتى تراه يعجبك لونه[6].

السيد محمد العربي الحلو مسفر مغربي من مدينة فاس من القرن الثامن عشر

[4] - البقم : خشب أحمر يصبغ بطبيخه الجلد وكذلك ورق الكاغيد.

[5] - في الأصل : فإذا أعجبك وإلا وهو خطأ ظاهر.

[6] - كانت أوراق الكاغيد تصبغ أيضا بألوان متعددة، مثل اللون الأزرق أو الأسود أو الأخضر أو الأصفر أو الأحمر، وخاصة إذا كان المكتوب بماء الفضة، ولحسن الحظ وصل إلينا مخطوط من القرآن الكريم ورقه مصبوغ بلون أخضر مكتوب بماء الفضة تحت رقم 1304 د بالمكتبة الوطنية وقد وصف لنا الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي الخير الحسني الأرميوني السابق الذكر في الباب الأخير أي الباب الخامس والعشرون طريقة صباغته بصباغة ممزوجة بالغراء المتخذ من السمك انظر كتاب (النجوم الشارقات في بعض الصنائع المحتاج إليها في بعض الأوقات) تحقيق السعيد بنموسى.

باب صفة حل الذهب
وغسله وسقيه بالغراء، وصفة الكتابة به [1]

وذلك بعد يبسه [2] بأن تأخذ ورقة الذهب [3] الذي يكتبون به، وتفركه بالفرك حتى يتهيأ، هذا إذا كان الذهب قليلا، وإن كان كثيرا مثل مثقال أو مثقالين، افركه في صحن مزجج، واطئ القعر، منبسط، فإذا ابتلعه العسل، أدلكه بعود مثل الخفيف حتى يتهيأ جدا، وافرغ عليه الماء وحركه، واتركه هنيئة، وصب عليه الماء في آنية أخرى مزججة، ورفق بكيس، وزد على الذهب ماء آخر، وصفيه على الماء المتقدم الأول، وكرر عليه الصب بالماء والتصفية، حتى يذهب منه طيبة العسل، ولا تبقى فيه حلاوة، فحينئذ ارفع آنية الذهب على رماد سخن، حتى ييبس، ولا

---

[1] - يعني ماء الذهب الممزوج بالغراء لتثبيت الكتابة أو الزخرفة على الورق والجلد.

[2] - لعله يعني يبس الورق أو الجلد من الصباغة، وذلك زائدة.

[3] - يعني ورقة الذهب الحر الذي يزخرف بها المسفر الغلاف الجلدي بعد تسخين الأختام أو الطوابع. وقد وصف لنا أبو عبد الله محمد بن أبي الخير الحسني في آخر الباب الخامس طريقة حله، إذ يقول : " إذا أردت ذلك فخذ إناء صيني نظيفا ناعما، وخذ لكل ورقة من ورق الذهب درهم عسل نحل، ثم امعك ورق الذهب بالعسل حتى يعود له بصاصه ويصير كله روحا واحدة، ثم اغسله، وهو أن تريق عليه الماء الحلو الرائق، ثم تتركه ساعة وأنت محترز عليه من الغبار فإنه يأخذ خاصيته بالعسل وأرق الماء عنه بلطف ولاطفه بماء الصمغ المحلول إلى أن يرضيك قوامه، فإن تعذر العسل، اطل أرض الزبدية بصمغ تقيف، واقتل الورق فيه ودبره بالتدبير المعتاد بين أهل هذه الصناعة.

تبقى فيه ندوة، فحينئذ ارفعه، وصنه عن الغبار والحشرات، لأنهم مهما وجدوه أكلوه على رائحة العسل.

ولنرجع إلى الكلام على الماء الذي تصفيه عن الذهب، اتركه في الآنية ليلة، فإذا أصبح، وجدت ما سال من الذهب مع الماء ملتصقا في قعر الآنية على الزجاج، والماء والعسل يروج، فاهرق الماء عن الذهب، والذهب ملتصق ولا يتحرك، فإذا اهرقت الماء عنه، فضمه بين أصبعك، وزد عليه ماء آخر فبعد ساعة صفه عنه وصفه في الآنية التي تكتب منها، وهي آنية مزججة صغيرة ظريفة مليحة للنظر وزد عليه من ذلك الذهب المحلول اليابس ما تزيد قليلا أو كثيرا على قدر ما تحتاج، [فإذا] أردته للكتابة [على الكاغط [4]] فاعمل فيه الصمغ العربي[5] قدر ما يكفيك، أو غراء الحوت إن كنت تحسنه، واسقه بالماء، واجعل ليقة من صوف، وحركها بالقلم [6]، واكتب في الكاغط ما تريد بالقلم، فإذا يبس في الكاغط أدلكه بمحارة [7]، ولا تزاتل تفتكر الليقة بالتحريك والقلب ما كان منها أسفل اقلبه أعلاها.

---

[4] - مطموسة بالأصل والمعنى يقتضيها.
[5] - الصمغ العربي : غراء يستخرج من شجر السنط
[6] - يعني قلم القصب
[7] - المحارة : أداة لصقل الذهب بعد الكتابة.

وإذا أردت أن تكتب به على الجلد [8]، فلا تخدم فيه الصمغ العربي، وإنما يخدم فيه غراء الحوت الخاصة، فإذا كتبت به اتركه حتى ييبس، وادلكه بمحارة، أو شبهها كما تحب وتشتهي، والله الموفق. وإذا قضيت حاجتك من الذهب المسقي بالغراء، إياك أن تترك فيه الغراء، فإنه يخثر، ويخلق فيه الدود، ويأكله الذباب على رائحة الغراء المخثر، إلا أنك إذا قضيت منه، فصب عليه الماء، وتصفية منه مرة، أو مرتين، حتى لا يبقى به رائحة الغراء، وارفعه، واحتفظ به.

فـــائـــدة

فاعلم أن غراء الحوت المذكور، فهو على نوعين أصفر اللون، يضرب إلى الحمرة، تحله بالماء على نار لينة، وتسقي به الذهب، واصله

---

[8] ـ لعله يعني الرق والجلد والأشياء الذهنية، وقد وصف لنا الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي الخير الحسني الارميوني في الباب التاسع في غسل الدهان وما ينبغي أن يفعل به كما يفعل بالرقوق والأشياء الذهنية حتى تمشي عليه الكتابة (بالذهب) : " أما غسل الدهان وتحسينه ونعمه، فطريقه أن تأخذ قطعة من شغابة الصيني، تدقها دقا ناعما حتى تصير كالكحل فخذ منه قليلا، واجعله على الدهان، واجعل عليه قليل ماء وامسحه بقطنة وهذا أحسن غسله، وإن شئت فاغسله بالطين لكي يسود لون الدهان، وإن شئت خذ له قطعة من زبدية مدهونة وقشر دهانها وحتها على بلاطة، وخذ من ترابها وامسح بها، واغسله كما تقدم. وهذا يقارب الأول وأحسن من الثاني وأجود، ثم اجعل في الدواية التي تكتب منها على الأشياء الذهنية، كالرق وما شابهه نقطة من مرارة الماعز، فإن لم توجد فمرارة الدجاج، فإن لم توجد، فانقع الانزروت في الماء، وأضف إلى الدواية شيئا من ذلك فإن الكتابة لا تنقطع عن المكتوب عليه أصلا والذي ينبغي أن يفعل بالخشب المدهون والرقوق أن تبل اسفنجة أو ما يقوم مقامها في ماء الأنزروت ويمسح به على الرقوق، ثم تكتب على جفافها فإن الكتابة لا تنقطع ".

مستعمل من عراقب البقر، يطبخونه كما يطبخون الغراء الشديد من الجلد*8* وقد طالعت كيفية عمله مشاهدة، والغراء الثاني وهو غراء غير مطبوخ، باقي على أصله، وصفته الثريد المبيس[9] القديم، يأتي ملفوقا بعضه فوق بعض، لونه أبيض عصباني، وكيفية العمل به وذلك بأن تأخذ قدر ما يصلح لكل الحل[10] الذهب، وتجعله في الماء حتى يترطب، ثم تأخذه وتدقه على حجر الرخام دقا بليغا، وتطويه كما يطوي الحرز. وعد عليه الضرب، حتى يمتد ثانيا، ويصير مثل الرق واطوه أيضا، واضرب عليه حتى يمتد ثانيا، ويصير مثل الرق واطوه أيضا، واضرب عليه حتى يمتد، وقطعه قطعا صغيرا، واجعله في ماء قليل، قدر ما ينحل فيه على نار لينة. فإنه يغلي، و ينحل فانزله عن النار وافركه بسبابتك حتى يصير غراء محلولا، وزد عليه ماء آخر، ورده للنار حتى يصير مثل الزيت دائبا، فاتركه حتى يبرد واسق به الذهب، وحركه، وحرك الليقة[11] فيه، وجرب

---

8 - غراء كان يصنع من جلد الحيوان.

[9] - يعني الدجاج الميبس.

[10] - في الأصل : قدر ما يصلح بك على حرفة الذهب، وهو خطأ ظاهر.

[11] - الليقة : صوفة الدواة.

الكتـــابة [12] به على الجلد، فإذا يبـــس ادلكـــه، فإذا رأيت لونه شريقا، امسحه بأصبعك، فإذا امتسح الذهب، فاعلم أنه من قلة الغراء، فزد فيه

---

[12] - في الأصل الكتاب، ونلاحظ أن المؤلف وصف لنا ماء الذهب فقط، بينما كان هناك ماء آخر للكتابة ألا وهو ماء الفضة، وقد وصفه لنا الإمام أبو عبد الله الأرميوني إلى جانب ماء الذهب في الباب العاشر فيقول : " وصفته أن تأخذ صمغا عربيا أبيض نقيا، وتسحقه ناعما وتجعله في قنينة زجاج نظيفة، وتجعل عليه من الماء العذب مقدار ما ينحل فيه ويصير في قوام العسل النحلي الثخين، ثم تأخذ زبدية نظيفة سالمة من الزفر، واجعل قليلا من الماء العذب، واجعل فيه حصوة ملح طعام، ثم خذ صحنا صينيا أو فرنجيا سالما من الأوساخ ومن الزفر والإنزاز أيضا، واغسل يدك وقص أظافرك واحترز غاية الاحتراز من الوسخ واسر الزفر في يدك أو في الأواني فإن الذهب والفضة اللذين تريد حلهما يتقطعان ولا يكتبان أصلا، ثم ضع من الصمغ العربي المحلول في الصحن قليلا بقدر ما يكفي الذهب ثم خذ ما تريد حله من ورق الذهب أو الفضة واضربه في الصمغ ضربا جيدا حتى ينقتل فيه وخذ ورقة أخرى ودر بأصبعك عليه وافعل كفعلك الأول ويستمر فعلك هكذا حتى يتم عملك كلما أخذت ورقة تقتلها في الصمغ ثم صب عليه ماءا كثيرا صافيا، واصبر عليه حتى يرسب الذهب فأرق الماء عنه واجعل ماء ثانيا وحركه وروقه و أرقه، فإن بقي فيه من الصمغ شيء، فافعل به كما تقدم، وإن لم يبق فيه شيء فجففه على النار، ثم خذ من الغراء الشامي شيئا فبيته في الماء الصافي الحلو، وحله على النار، ونقط منه على الذهب أو الفضة نقطة بعد نقطة وأنت تقتله به تم صب عليه الماء حتى يعلو فوقه، واصبر عليه حتى يرسب، واجعل منه في القلم وخط به، فإن سال على القلم فهو قليل الغراء، فاجعل عليه قليلا قليلا حتى يعتدل، وإن لم يكتب فهو كثير الغراء، فاجعله على حرارة النار حتى يذوب الغراء، وكب من الماء نحو تلته، واجعل على ما بقي من الماء قدر الذي كبيته ماءا خالصا صافيا، فإن لم يخط بعد ذلك، فافعل به كما تقدم حتى يحسن، فإذا كتبت به، فاصقله، وانظر إلى لونه، فإن كان أسود كايبا فهو كثير الغراء، فافعل به كما تقدم، وخط به واصقله، فإذا صفا ولم يتطاير من تحت الجزعة فقد انتهى، وإن تطاير من تحتها وتقشر ولم يلتزق بالورق فهو قليل الغراء فزده إلى أن يقبل ويصير، فإذا كتبت به وصقلته ثم ثبت على الورق ولم يتطاير ولم ينقطع وصار لونه صافيا لا سواد فيه ولا كدرة فإن صار كذلك فقد انتهى.

غراء آخر على قدر كيسك. فإذا رأيت الذهب ثبت على الجلد، وشرق لونه، فدلك المراد، وإذا أدلكته ورأيته لونا كاسفا ولا يظهر فيه شروق، فاعلم أن الغراء فيه كثير، وان الجلد لم يشرب الغراء وهو الذي حجبه عن الشروق، فزد عليه ماء بلا غراء وسخنه فإنه يتميع وينحل من تغريته، فزد عليه شيئا من الماء، وصفيه فإن الغراء يقل منه حتى يبقى فيه جهد ما ينفعك، فإذا كتبت به شرب الجلد الغراء ونفع فيه الدلك وظهر فيه الشروق ولم يمسح عن الجلد إذا مسحته، فهذا الغراء أجود من الغراء الثاني، وليس كل الناس يعرفونه، ولا يعرفه إلا من امتحن به وخدمه وعرف خصاله.

فـــائـــدة :

إن غراء الحوت الأبيض المذكور كلما ذكرت لك من طبخه، وسقي الذهب به فإنه في زمن الحر، وأما في زمن البرد الشديد، فإنك إذا سقيت الذهب به، فإنه يجمد ولا يجري على الجلد قطعا، وإذا سقيته الماء وجعلته على النار، فإنه يجري. فإذا برد جمد أيضا، وإذا سقيته ماء آخر، وجعلته على النار يجري، فإذا برد جمد أيضا حتى يذهب منه لون الذهب، ويظهر لك الغالب عليه الماء، وهو يجمد ولا يكتب، ولا يجري حتى تجعله فوق هواء النار الذي هواها كحرارة الصيف، أعني حرارة الظل، لا حرارة الشمس نفسها. فتحتاج بكيسك على أن تجعل آنية الذهب الذي فيه الغراء متعلقة فوق المجمـــار وفيه شيء من النار. فإذا أحسن الغراء بالحر

الدافي من تحته، انطلق بالكتابة، فافهم وكن لبيبا حادقا، وزمن البرد يخبرك بكل ما وصفته لك عند الامتحان ويظهر لك صحة الخبر الشافي. وأما العطارون فلا يعرفون من غراء الحوت [13] إلا الشامي، فهو موجود عندهم، وأما هذا الغراء المتقدم، وجدته عند رجل يعرفه فقال: بينما هو في العطارين فإذا بالسمسار يدلله بأوقية ونصف للرجل، فعرفه رجل آخر من أصحاب الصنعة، فاتفقا على أنهما اشترياه بتلك القيمة وقسماه بينهما فلما وجدته عند الرجل المذكور، قال لي : لا أبيعه إلا مـــراطلة بأوقية لأوقية [14] .

---

[13] ـ وصف الإمام أبو عبد الله طريقة عمل الغراء المتخذ من السمك في آخر الباب الخامس والعشرون فيقول : "وأما صفة عمل الغراء المتخذ من السمك، فطريقة أن تأخذ من عند السماك لبانات السمك وأجودها لبانة مرح البياض، وهي التي يعوم بها السمك، وهي تشبه الجلود، تبل بالماء يومين، ثم تقلع قشرتها التي عليها، وتغسلها بالماء والملح الى أن تنظفها، فدقها بمطرقة بعد جفافها حتى تتمسك، أو قصها بالمقص قدر الجوز، فإن جمعت تبين القص والدق كان أجود، ثم تجعلها في إناء، وصب عليها ماءا وتغلى إلى أن تذوب في الماء، فصفيه واعليه في أطباق من نحاس، أو ما يقوم مقامها، واصبر عليه إلى أن يقارب الجمود، فقطعه بسكين واجعله ألواحا وشكه في خيط وجففه في الظل والهواء أو الندا، أو انشره على قصبة. ولا يكون عملك لهذا الغراء إلا في زمن الشتاء، وكلما قوى البرد في زمان عمله كان أجود لتجميده فإن الحر يسيله وقد تم ". ونلاحظ هنا أن الفقيه السفياني استعمل كلمة الحوت أما الإمام أبو عبد الله فقد استعمل كلمة السمك، وفي القرآن الكريم لم يرد لفظ (السمك) إنما ورد لفظ (الحوت) ولا شك أن الفقيه السفياني كان حافظا للقرآن تأثر به واستعمل بعض ألفاظه في مؤلفه.

[14] ـ نلاحظ هنا أن السلع كانت تباع في هذا العصر أي العصر السعدي وقبله بالأواق وفي ذلك يقول البكري " وجميع المأكولات من الزيت والعسل واللبن والزبيب يباع عند أهل فاس بالأواق " البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية، ص: 117.

فلم يكن لي أن أخذته منه بالذي طلب فيه على قدر حاجتي فصرت أنا أخدم [15] به وأصول به على أرباب الصناعة، وهم لا يدرون بأي شيء فقتهم ويقال في المثل، الماعون يعين، ويقال أيضا الماعون هو نصف العمل، أو نصف المعلم والله تعالى الموفق للصواب، وهذه المعالجة كلها إنما هي في غراء الحوت الأبيض، وأما من يقنع بالغراء الشامي يكفيه. انتهى.

فائدة : إذا أردت كسوة الكتاب بالجلد [16] إياك إياك، وإياك، وإياك أن تأخذ الجلد وتكسي به قبل غسله بالماء، لأن الدباغين إذا صبغوا الجلد يلعب بهم الشب فيخرج لون الصباغ أشرق، حتى يدهنوا الجلد بالزيت فيأتي لونه [في غاية] [17] النهاية وتحتاج أيها الأخ أنصحك غاية النصح جهدي أن تجعل الجلد الذي قصصته [18] على قدر كسوة الكتاب في الماء، و [أن تغسله] [19] بيديك، وافركه فإن الزيت يطلع على وجه الماء فاهرق الماء، وكرر الغسل والفرك بين يديك، فإنه يطلق زيتا على وجه الماء، فتتبعه حتى يضعف منه الزيت، لأنك إذا كسوت الكتاب قبل غسله، وجريت عليه الذهب [20]، فإن الزيت يمنع الجلد من الغراء أن

---

[15] - في الأصل : أخدمه وأقول به وأصول.
[16] - الذي تعمل عليك، وغرة زائدة.
[17] - ناقصة والمعنى يقتضيها.
[18] - يعني فصلته على قياس غلاف الكتاب.
[19] - في الأصل : وأجريته بين يديك.
[20] - لعله يعني الزخرفة بالتذهيب على غلاف الكتاب الجلدي

يشربه. أعني بالغراء هنا غراء الحوت، وأما الغراء الشامي، ففيه فائدة خاصة به، لأنك إذا دوبته في آنية، وتركته يجمد فيها، فمتى أردت أن تجعل منه في الذهب، فخذه واجعل عليه شيئا قليل من الماء، مقدار ما تسقي به ذهبك، وافركه بسبابتك ساعة حتى يطلق فيه بليقة بيضاء وتسقي بها ذهبك، واكتب بها على الجلد [21] سواء غسلته أم لا، فإنه يأتي به العمل في غاية النهاية، ويحمل الدلك على الذهب بغير غسل الجلد. وما أصيك عليه في غسل الجلد إذا سقيته بغراء الحوت أن لا تدلكه. لأنك [22] إذا رأيت أن تدلكه تقشر الذهب على الجلد، وأما هذا الغراء لا بأس به إذا لم تغسله، وإن أردت أن تصبغ الجلد زبيبي فإن الصبغ يطلع مبرقعا يدفعه الزيت عن بعض المواضع، وإذا غسلته من الزيت وظننت في نفسك أن اللون الذي ظهر في الجلد حين عمل له الدباغ الزيت فإذا غسلت منه الزيت وكسوت به الكتاب فإنه يسقط لون الجلد بخروج الزيت منه، بل إذا أدلكته وكررت عليه الدلك ظهر لك من اللون ما لم يظهر للدباغ بوجود الزيت فيه. وإذا أردت صبغ الجلد زبيبي، فبعد غسله بالماء اعصره عصرا جيدا ومده من الكماش مدا محكما، وحل شيئا من الزاج [23] في الماء واطل به الجلد ولا

---

[21] ـ يعني الكتابة على الغلاف الجلدي المدبوغ، ومن العجب لم تصلنا مخطوطات مكتوبة على الغلاف الجلدي إلا القليل جدا، مثل مخطوط (الموطأ) للإمام مالك تحت رقم 708 ج (المكتبة الوطنية) مكتوب على وسط غلافه الجلدي لا إله إلا الله.

[22] ـ في الأصل لا أنك.

[23] ـ الزاج : كبريت الحديد.

عليك أن يكون كثيرا في الزاج، وإذا طليت الجلد بالماء وظهر أنه يحتاج إلى لون أغلق من ذلك، فعاوده بالطلي حتى يعجبك لونه (وأما) إذا كان الماء قليلا وتخاف [أن] [24] يلعب ويغلق لونه من الطلية الأولى ويأتي اللون على غير مرادك [فزد] [25] الماء كثيرا فتطليه المرة بعد المرة حتى يعجبك لونه ولا يلعب بك حال والله الموفق للصواب فإذا تم الصبغ في الجلد فادخله في ماء واغسله غسلا جيدا ليلا يندم الصبغ ويغلق لونه فإذا غسلته امتنع من زيادة اللون الذي تركته عليه فهذا آخر ما حضر لذهني في حالة التقييد وذلك في ذي الحجة تسعة وعشرين وألف [26].

يكفي اللبـــيب إشارة مرمـــوزة

وســـواه يدعـــى بالنداء العـــال

ثم الـــزجـــر من قـــبل الـــعصا

ثـــم العصا هو رابع الأحـــوال[1]

---

[24] - ناقصة والمعنى يقتضيها.

[25] - في الأصل : وإذا كان.

[26] - وجاء بعد باب صفة عمل الترنجة من الجلد للتسفير : " انتهى بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل وصلى الله على من لا نبي بعده والحمد لله رب العالمين في يوم 23 شوال الأبرك عام 1255 رزقنا الله خيره ووقانا شره آمين ".
وقد سبق لي أن قلت أن الناسخ تعمد أن يضع باب صفة عمل الترنجة من الجلد للتسفير في آخر الكتاب، والسبب لكي لا يلتقي تاريخ تقييد المؤلف مع تاريخ النسخ لناسخ مجهول.

[1] - وردت بعد تمام النص فآثرت أن ألحقها به رغم أنها لا تلتقي معه في أصل الموضوع.

* فـــهـــرس اللوحـــات *

المحور الأول :

محاضرات في صناعـــة

تسفيـــر الكتاب الإسلامي المخطوط وصيانته

****

لوحة 1 : مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه.....9

لوحة 2 : أدوات النقش والزخرفة.....25

لوحة 3 : كتاب التوراة في شكل لفافة جلدية.....36

لوحة 4 : تسفير تركي بنباتات وأزهار 58

لوحة 5 : غلاف كتاب مطروز بالطرز الصحرواي.....59

المحور الثـــاني :

صناعة تسفير الكتب وحل الذهب

****

لوحة 6 : التشبيك بالخيط على السير الجلدي.....27

لوحة 7 : تسفير كتب وزخرفتها بالترنجة.....29

لوحة 8 : صورة للمسفر المغربي العربي لحلو.....30

- الـــفـــهـــرس -

- المحور الأول:

محاضـــرات في صناعـــة تسفيـــر الكتـــاب الإسلامـــي الـــمخطوط وصيانتـــه

المقدمة :.....1

صناعة تسفير الكتب في الغرب الإسلامي (العصر الوسيط).....4

تسفير مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه في المغرب..... 6

علماء ووزراء مسفرون.....10

أدوات التسفير والأغرية.....10

الأغرية.....11

طريقة التسفير في المغرب والأندلس الإسلامية (العصر الوسيط).....12

الظاهر من صنعة التسفير.....14

المكسر.....15

الأقربة.....15

البرشمان العربي.....16

البرشمان البيزنطي (الرومي).....18

فن التدهيب والنقش في المخطوط المغربي.....21

الأشداق.....23
فن النقش في المخطوط المغربي.....24
خمسة أنواع من التذهيب والنقش في المخطوط المغربي (الأندلسي والفارسي والمغربي والمصري والعثماني).....26
- ترميم المخطوط في المغرب والأندلس (العصر الوسيط).....28
أدوات الترميم منذ العصر الموحدي.....33
علماء مرممون 34
معجزة وردت في التاريخ الإسلامي 34
نص المشاركة بالإذاعة المغربية 37
الكلمة القصيرة.....45
مناقشة وتوقيع كتاب (التيسير في صناعة التسفير).....49
مناقشة وتوقيع كتاب (كيفية تسفير الكتب) 54

المحور الثـــانـــي :

صنـــاعة تـــسفيـــر الكـــتـــب
وحـــل الـــذهب

مقدمة التحقيق 5

باب التبطين 9

المقدمة 10

باب في كيفية عمل الدفف.....12

باب في كيفية حزم كراريس الكتاب وتتخيتهم وكسوته بالجلد ووشح وسطه بالترنجة.....15

باب في كيفية نسج البرشمان.....25

باب صفة عمل الترنجة من الجلد للتسفير.....28

باب صفة صبغ الجلد بنفسج.....29

باب صفة حل الذهب وغسله وسقيه بالغراء وصفة الكتابة به.....31

الكاتب في سطور

- ولد بالرباط عام 1954
- درس الابتدائي بمدرسة التوحيد بالرباط، ثم التحق بمدارس محمد الخامس
- تعلم صناعة التسفير (الغربي) على يد صناع مغاربة بمكتبة حديقة الأوداية التابعة لوزارة الشؤون الثقافية سنة 1968 -1969
- التحق بالمكتبة الوطنية سنة 1970
- شارك في دورات تدريبية حول ترميم المخطوطات ومعالجتها على يد مدربين اسبانيين سنة 1996
- حائز على جائزة محمد ابراهيم الكتاني لإحياء التراث وتحقيق المخطوط سنة 1996
- أقام عددا من المعارض في المدن المغربية حول صناعة التسفير العربي الاسلامي
- له حضور ومشاركة بعدة أنشطة ثقافية وفنية متميزة وهو عضو بالجمعية المغربية للتضامن الإسلامي

من انجازات الكاتب :

- تسفير وتذهيب الكتب وترميم المخطوطات 1994
- تاريخ فن تسفير المصاحف الشريفة والكتب المخطوطة بالمغرب 1996
- تحقيق كتاب التيسير في صناعة التسفير للشيخ بكر بن ابراهيم الاشبيلي 1999
- تحقيق كتاب كيفية تسفير الكتب للقاضي عبد العزيز الرسموكي 2008
- فنون التسفير في المغرب والأندلس 2008
- تحقيق كتاب صناعة تسفير الكتب وحل الذهب للفقيه محمد السفياني 2008
- تحقيق كتاب في علم الكيمياء النجوم الشارقات في بعض الصنائع المحتاج اليها في بعض الأوقات للإمام أبي الخير الحسين الأرميوني 2008
- كتب مقالات بمجلة الفيصل السعودية : شتنبر/أكتوبر 2002 - ماي 2003 - أكتوبر/نونبر 2003 يناير 2006 .....

الثمن : 40 درهم